وزارة الثقافة
ALGERIE

ع. بن أشنهو

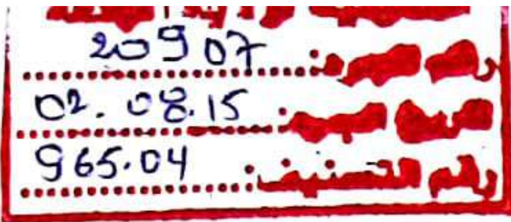
الدولة الجزائرية في: 1830



مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر

ENAG EDITIONS

13 / 25 02 01
الإيداع القانوني: 2013-6775
ردمك : 978-9931-00-360-1



أ. بن أشنهوا

الدولة الجزائرية في 1830

مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر

ترجمة : لعراجي نورالدين



موفم للنشر



الأمير عبد القادر عن ماكسيم دافيد

L'EMIR ABD-EL-KADER, PAR MAXIME DAVID

المقدمة

كتب "ميترنيش ونبورق" رجل الدولة النمساوية الشهير الذي كان خبيرا بأمور السياسة الفرنسية الخارجية خلال وبعد الامبراطورية الأولى قائلاً : "ليس من أجل حركة مروحة تنفق مائة مليون ويجند أربعون ألف رجل" وقذفت هذه الحقيقة بعيدا بالحجج العديدة التي ابتدعها التوسعيون في فترة النظام الملكي الفرنسي المستعمر، الذين أرادو تبرير احتلال اقليم وقع بين أيديهم.

في الحقيقة كان لا بد من ايجاد متنفس للجنود الذين كانوا يثقلون كاهل شارل العاشر في بحثه عن الشهرة وعن سوق اقتصادية.

كانت الجزائر آنذاك تحت قيادة مجلس رجال الدولة ذوي الأصل التركي الذين لا يمتّون للسياسة بصلة. وبقيادة رجل متشبع بفكرة حصانة الميناء. سرعان ما دفعت المدينة ثمن هذه الفكرة الوهمية غاليا بسبب استهانة مسيريها بل وربما تواطئهم أيضا، كانت اغلب الدول الأوروبية والأمريكية تتمنى لو أن الإيالة "تنال الجزاء الذي تستحقه" ويجدر بنا القول انه كان الحصن الوحيد، والمتين ضد

المسيحية بعد الباب العالي التي تقطع الطرق أمام الدول الأوروبية الباحثة عن المستعمرات.

كانت الجزائر ترعب دول أوروبا، فقد تمكنت من المحافظة على هيبتها وفرض قانونها بفضل موقعها الجغرافي وبفضل اقتصاد جيد نسبيا فضلا عن صلابة رجالها وشجاعتهم في البحر

كانت فرنسا مصممة على احتلال الجزائر واستغلال ثرواتها، وإضعاف قوتها وبالتالي إذلال هذا البلد الذي لم يجرؤ احد على مواجهته، ولكبر ثقته بنجم الجزائر سمح الداي حسين بقدوم العدو الذي كان يأمل في إبعاده مخذولا بفضل العواصف الكلاسيكية للمياه الإقليمية للعاصمة، لكن السخط والظلم اللذان سادا الجزائر انذاك تصديا لهذا الأمل، وقدر للدولة الجزائرية ان تنسف بمكنسة خلال ايام بواسطة "جيش مدهش" قدم من الخارج رغم التنظيم العسكري الشديد.

اسست هذه الدولة على يد رجال الدولة التركية الذين زعموا انهم جزائريون وكانت مطابقة لماهو موجود في الدولة العثمانية انذاك إلا ان الشعب لم يكن معنيا بذلك سوى انه يساهم في اثراء الخزينة العمومية .

اذا كان سقوط مدينة الجزائر عل يد قوات الجنرال دو بورمون قد تم من دون عوائق كما خُطط له، فاحتلال بلد معاد لا يقهر تطلب من الجيش الفرنسي بقوته العظيمة المتزايدة باستمرار سبع عشرة سنة يواجه

الأمير عبد القادر بن محيي الدين الذي تعرض له بمقاومة شرسة. هذا الرجل الفريد من نوعه في افريقيا الشمالية.

نحاول عبثا مقارنة الرجل بابطالنا الاخرين، بداية من ماسينيسا الى المقاومين المعاصرين يوغرطة وتاكفاريناس وكسيلة والكاهنة ... الخ. فهم لا يشتركون في مقاييس معينة بينهم اذا كانت وطنية هؤلاء العظماء لاشك فيها فانهم لا يرتقون الى مقاومة الأمير عبد القادر وشجاعته، وثبات ايمانه وتفانيه وكل تلك الصفات التي تميز بها طيلة مقاومته وحتى بعد نفيه.

استطاعت الدولة الجزائرية التي اهتزت وأبعدت سنة 1830 أن تؤسس من جديد بفضل روح المبادرة لهذا الرجل وحسه السياسي العميق اللذان فرضا احترام العدو نفسه له. ومن اجل قياس قوة هذا الاحترام لابد من العودة الى هذه الحقبة البطولية حين كانت القوات الفرنسية ترعب اوروبا بما فيها بريطانيا العظمى.

إن هذا الكتاب يعكس بنفس امانة المؤرخ لوحة سريعة عن الدولة الجزائر وتنظيمها في 1830 في عهد الأمير عبد القادر.

كثيرة هي الكتب التي تتحدث عن تاريخ هذه المرحلة من تاريخ الجزائر وكانت اغلبها كتابات مؤرخين اوروبيين ذوي نزاهة علمية دون شك او على الاقل بالنسبة للبعض منهم،غير أننا نعتب عليهم رؤيتهم

لاحداث بلدنا من خلال تقارير يقال عنها انها رسمية، استندوا عليها أساسا في دراساتهم فتلك الوثائق التي حررها المستعمرون لا يمكن اعتبارها موثوقة تماما ولكنها مع ذلك وللاسف فرضت نفسها على انها مصادرهم الوحيدة لذلك فهي في انتظار أن تستبعد أو تغير على يد مؤرخين أمناء قد يكتشفون وسائل أخرى اتت في نصوص اخرى هزيلة لكنها قريبة من الواقع وهي مستوحاة من مصادر عربية .

نأمل أن يجد شبابنا الوجه الحقيقي لوطنهم المجيد الظامر مؤقتا والذي حاول العدو دون جدوى أن ينسينا اياه كما حاول ان يفعل بالمشاعر الوطنية التي اسكتت أجدادنا الذين حافظوا على شخصيتهم المطموسة طيلة قرن ونصف القرن من الزمن، يعود اليوم بلدنا الذي كاد أن ينسى تقاليده الإسلامية بفضل تضحيات مئات آلاف الرجال المكافحين الذين ماتو من أجل الوطن.

ان هذه العادات الاسلامية والقيم الاخلاقية العليا التي كان الأمير عبد القادر المثل الأعلى لنا فيها، هي التي اعادت الجزائر الاسلامية الى الحياة .

أ.بن اشنهو

I - الدولة الجزائرية في سنة 1830

أ) نظرة عامة :

أطلق الاوروبيون على الدولة الجزائرية اسم "إيالة الجزائر" وبقيت محتفظة بهذا الاسم طوال فترة الحكم التركي.

كنا نبحث، دون جدوى، عن العلاقة التي تربط هذا الاسم بالنظام الدستوري الجزائري في تلك الفترة.

ربما كانت تسمية "نيابة الملكية" هي الأنسب، مع ذلك هي غير ملائمة بما أن الجزائر كانت دولة شبه مستقلة خلال فترة طويلة من الحكم التركي إذ انها لم تعد تابعة للباب العالي منذ نهاية أول البايلربايات.

بعد أولائك الموظفين ذوي المناصب العليا الذين كانوا قد مارسوا مهامهم كحكام عامين باسم السلطان تم في البداية اختيار داي(1) من بين الميليشيات التركية التي كانت تشكل حرس الإقامة كان داي الجزائر تركي الأصل يستلم معطف النصيب من اسطنبول، بجانبه كان السلطان يقوم بتعيين باشا يستخلفه لمدة ثلاث سنوات.

(1) اطلق اسم الداي على حاكم ايالة تقع في ثغور الاقليم المسلم وكان مكلفا بالدعوة الى الاسلام في البلدان الاجنبية المجاورة ويعني هذا الاسم صدفة "الخال"

أدى هذا النظام إلى إزدواجية السيادة في الجزائر، قبل سنة 1711 سيادة الوالي أو الباشا المعين من قبل سلطان القسطنطينية، وهو الحائز على الحكم عن طريق الانتخابات أو عن طريق منصبه في الجيش.

قبل ذلك، وفي سنة 1688 وجد اسماعيل باشا، المبعوث من قبل الباب العالي، نفسه ممنوعا من الدخول إلى ميناء الجزائر. واضطر إلى اللجوء إلى تطوان والإقامة على متن سفينة " سيدي شريف حاجي" وقابله مبعوث الداي حاج حسين "ميزو مورتو" بهذا الرد:

"ليس لسلطانكم (العثماني) أية مصلحة يقضيها في هذا البلد. لسنا بحاجة للباشوات. كل أمير سيد في بلده، يحافظ عليها بسيفه وسلطته، ينشغل بأمور حكومة دولته من دون اللجوء إلى أحد ونحن نفعل بالمثل،فنحن لا نخشى أحدا بفضل البركة المناطة بسيوفنا وقواتنا.. ندير دولتنا ونتفرغ إلى حكومة البلد كما ينبغي لنا أن نفعل من دون استشارة أي كائن من كان. إنسحب في اقرب وقت"[1]

مع ذلك استمر الباب العالي في إرسال باشاواته كل ثلاث سنوات من دون تمتعهم بأية سلطة فعلية ومنذ تنصيب الداي بابا علي الذي رفض بدوره دخول الباشاوات الجدد إلى الميناء، ارسل هذا الأخير إلى

(1) المجلة الافريقية 1884 الصفحات 71 و72

السلطان خطابا راجيا منه تفهم الوضع غير الطبيعي الذي كان يرمي إلى خلق اضطراب في ممارسة السلطة العليا، فما كان على الخليفة إلا أن يقبل بالامر الواقع. وبالرغم من الرابط الروحي بين الجزائر واسطنبول، إلا أنه كان يجب على جميع أعوان السلطة والحراس وحراس الدايات والبايات أن يكونوا ذوي اصل تركي.

اصبح الداي منذ ذلك الحين بمثابة رئيسا للجمهورية بتعيين من مجلسه وبموافقة الشعب.

أثناء السنوات الثلاث مئة وإثنى عشر للحكم العثماني في الجزائر، تعاقبت خمسة أنظمة في بلادنا.

1) من 1510 إلى 1518 كانت فترة تدخل المتمرد عروج مناضلا ضد الإسبان في بجاية الجزائر،تنس،وهران تلمسان مع عدد من المناصرين العرب والأتراك.

قتل عروج القائد العربي سالم تومي الثعالبي واتخذ لنفسه لقب السلطان وكسب المال منفصلا عن اسطنبول.

2) من 1518 إلى 1656: اعتبرت الجزائر ولاية تركية يسيرها ما يشبه الحاكم العام المبعوث من قبل السلطان العثماني والملقب بالبايلربايات إلى

غاية العام 1550، كان الملوك الزيانيون تحت سلطة ملوك اسبانيا مثل الدمى.

3) من 1659 إلى 1672، كانت ميليشية الجزائر تنتخب قائدا بلقب آغا وفي نفس الوقت يرسل السلطان إلى الجزائر باشا عهدته ثلاث سنوات.

4) من 1672 إلى 1711، بداية انتخاب قائدا بلقب الداي. تقلد سلطة الباشا المرسل من قبل الباب العالي.

5) من 1711 إلى 1830، الاستمرار في انتخاب الداي الذي اتخذ لقب باشا وحتى لقب السلطان. لم تعد اسطنبول ترسل بممثليها إلى الجزائر. كان الداي يقيم مع ديوانه واصحاب الوظائف العليا في" الجنينة" إلى غاية 1818 .

في هذا التاريخ حول مقر إقامته إلى أعالي القصبة للنفاذ من قبضة جنود اليولداش.

كرست الحقبة الخامسة للاستقلال الكامل الجزائر.

كان الرابط الوحيد الذي جمع الجزائر بالإمبراطورية العثمانية منذ ذلك الحين هو رابط روحي، كصلاة الجمعة وأعياد المسلمين التي كانت

ما تزال تقام باسم السلطان، من هنا وجد الجزائريون أنفسهم مرتبطين بالولاء لسلطان اسطنبول ومن ثم للداي.

هذا الأخير الذي كان يرسل الهدايا إلى السلطان الذي بدوره كان يهديه أخرى. كان الداي يرسل إلى إسطنبول خليفة ليجدد عهد الموالاة للتركي العظيم. كان السلطان يرسل إلى الداي، كلما طلب منه ذلك، قوات عسكرية تركية، اناضولية أو بلقانية تدعى القوات الانكشارية وكانت مكلفة بحراسة حاكم الجزائر، تدعى اودجاق (المسكن).

الادارة المركزية

1- أعيان الدولة الجزائرية:

يفترض أن الداي كان القائد السابق لجيش المملكة أو آغا العرب[1] الذي بعد موت أو إلغاء الداي الحاكم يقوم باستخلاف هذا الأخير. كان النظام الدستوري الجزائري يشكل عوائق خطيرة جدا،كان الجيش الذي يرفع قائد الدولة إلى الحكم يفرض عليه رغباته فور تربعه على العرش، كذلك كان يضع البايات والدايات في الحكم ويخلعهم عن العرش كما يشاء، هذا إذا لم يقم بخنقهم أو قتلهم بطريقة أخرى.

كانت هناك قوة لا تقل شدة تفرض نفسها أيضا بالجزائر : وهي طائفة الرياس.

كانت تلك العادة الغريبة في التنصيب تخلق ملابسات، منعت الجزائريون لمدة أكثر من قرن ونصف قرن من الحفاظ على استقرار الدولة).

---

(1) خلال مرحلة الاستقرار السياسي بالجزائر كان نظام الخلافة على النحو التالي : الداي ثم الخزندار (الامين العام للخزينة) ثم اغا العرب الذي يصير خزندارا وتتم ترقية وكيل الحرج الى منصب اغا العرب.

2- الديـوان:

كان يساعد الداي في الادارة المركزية مجلسا يدعى الديوان ويتكون من أمناء للدولة كانو بمثابة وزراء وموظفون قي مناصب عليا مثل خوجة الخيل (رئيس الفرسان)، آغا العرب، (عميد قوات المخزن العربية والبربرية)، وكيل الحرج، وزير البحرية والقبطان رايس (الأميرال) وكان لكل واحد من امناء الدولة الوزراء مكتب في القصر يسمى " اودجاق"،"دار السلطان" أو "مشوار"او دار المخزن" أو" الجنينة"، ومعهم في نفس الحجرة اعوان يدعون "خوجات" متواجدين على جانبي الوزير بصفة منتظمة، وكانت اللغة المستعملة هي اللغة العربية الفصحى، فنادرا ما كانت تستعمل اللغة التركية، وكان خطهم المعروف هو الخط الفارسي.

كان الوزراء فقهاء ملمين بقوانين الشريعة الاسلامية وكان المجلس يجتمع برئاسة الداي الذي كانت له سلطة نافذة جدا وغالبا ما كانت دكتاتورية.

لم يكن للمجلس صلاحية القرار ولم يكن يفرض وجهة نظره، ولا يصدر عن الانتخابات أية أغلبية ناتجة عن طريق الانتخابات

بالمعنى الفعلي للمؤسسة ولم يكن القانون موجودا بمفهومه اليوم. كان المنشور أو ما يسمى بـ "الظهير" بمثابة مرسوم مكتوب باللغة العربية باسلوب منمق. تتخلله آيات قرآنية وأحاديث.

كان هذا الظهير يحتوي على صيغ مدح وأدعية لحمد الله يتبعها النص وإمضاء الداي وكان الختم بيضوي الشكل يبصم به إما في أعلى أو في أسفل الظهير[1] يصبح هذا المرسوم قابلا للتنفيذ بعد بصم الختم عليه من طرف صاحب الطابع او"مول الطابع" أو بعد قراءته. كان الظهير الخاص يسلم إلى من يهمه الأمر الذي يحافظ عليه جيدا بعد تغليفه بجلد أخضر أو أحمر مرصع باللون الذهبي.

أما الظهير المخصص للعامة فكان يقرأه القاضي، المفتي أو إمام المسجد اثناء صلاة الجمعة أو صلاة العصر أو في الاسواق. كانت تلك طريقة الابلاغ بالاحداث السياسية أو بالتجنيد أو لجمع الضرائب أو الاعلان عن انتشار وباء ما، والاجراءات التي يجب اتباعها للوقاية منه أو عن سفر الداي أو تعيين موظفين جدد في المناصب العليا. . الخ.

رغم عدم امتلاك الدولة لآية جريدة رسمية أو نشرة إلا ان الاخبار تنتشر بسرعة البرق حتى تصل إلى أصغر ضيعة بالبايلك[2]، إما

(1) عندما توجه الرسالة الى السلطان العثماني يتم بصم الختم في اسفلها .
(2) تعني كلمة بايلك " الدولة" ايضا كما نقول " مخزن" أو "اوجاق".

الاحداث الرسمية فتدون وفقا لتسلسل زمني على سجل يسمى التشريفات.

في اغلب الاحيان عندما تطرح قضية شائكة في المجلس، فإن هذا الأخير يعود دائما إلى آراء القضاة الذين ينهلون من القانون القائم على الشريعة الاسلامية ومن التقاليد.

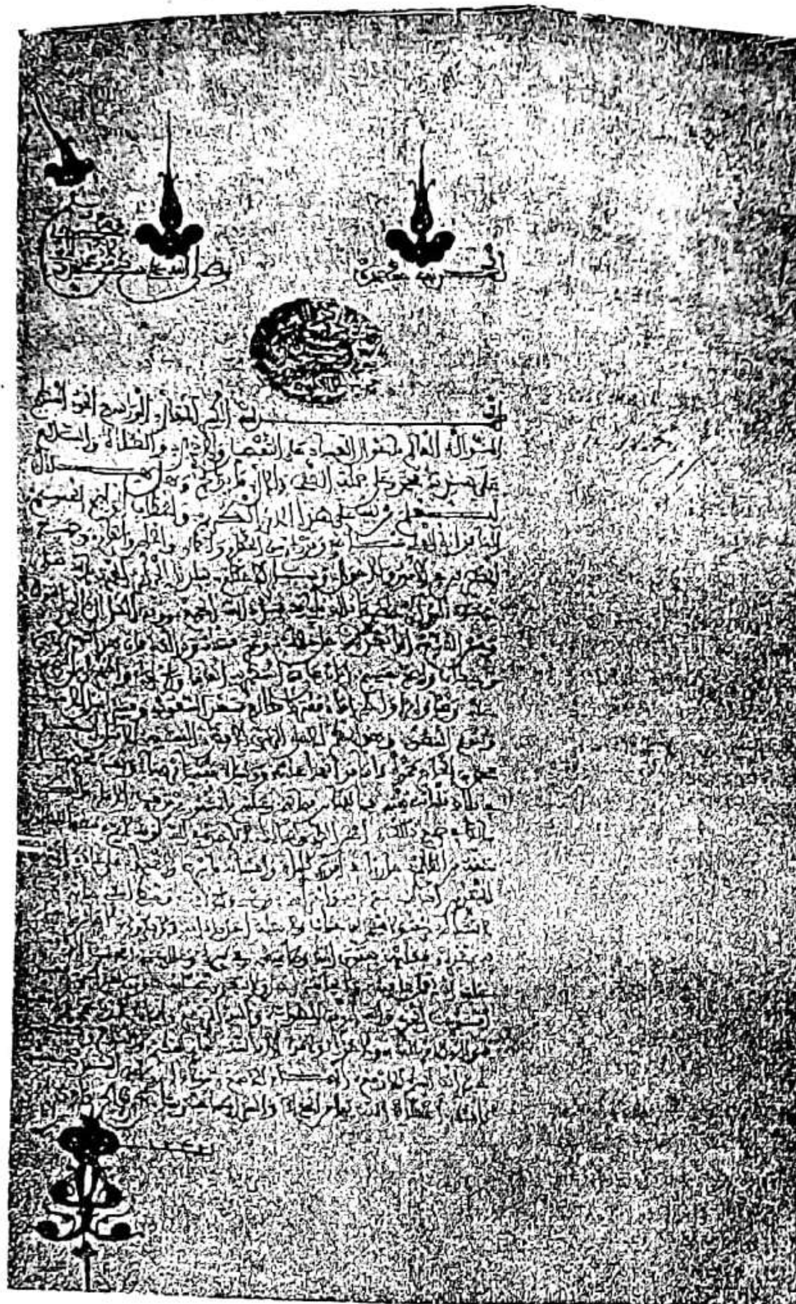
كان هذا الحكم هو القانون السائد. في الواقع، إذا ما وجد الحل في القرآن والسنة ينتهي الحوار، فمصادر الفانون تلك كانت بمثابة الحكم الفاصل في المداولة ويصبح القرار إذن غير قابل للنقض.

أما فيما يتعلق بأمور البحرية، فكان الأمر يعود إلى آراء وخبرة طائفة الرياس (مجموعة من قادة السفن) الذين كانوا بحارة مقدامين ذوي خبرة طويلة في الإبحار وجلادة في جميع المحن.

الخزندار هو الذي يسير المالية، أي أنه كان بمثابة الأمين العام للخزينة المكلف بتلخيص الحسابات. و الذي كان يدير أموال الدولة بشيء من الصرامة.

كان وكيل الحرج بمثابة وزير الشؤون الخارجية والشؤون البحرية.

في القضايا العسكرية، كانوا يستشيرون خوجة الخيل أو اغا العرب.



Dahir (ordonnance) de Hussein Pacha, dey d'Alger portant nomination du Juris-consulte Sid Mohamed ben Hadj Hamou, muphti malékite à Miliana.

ظهير (أمر) من حسين باشا داي الجزائر يتضمن تعيين المستشار القانوني سيد محمد بن حاج حمو المفتي المالكي بمليانة.

كانت أملاك الحبوس الكثيرة في الجزائر آنذاك تسير من قبل وكيل حسب نظام العرف السائد.

كان البايات والآغاوات والقادة هم من يقيمون عدالة المخزن التي تدعى الحكم او" العادة"او العرف الجاري أو القانون أو حتى النية الحسنة. لقد كانت عدالة مجانية، سريعة وقليلة الشكليات ولم تكن مثقلة بأية إجراءات أو أفعال قضائية. لذا كان المتقاضون لا يتأخرون عن تقديم الهدايا إلى القضاة.

في داخل الديوان، كان عمداء الحرب هم الذين يمثلون تلك العدالة وفي الأخير كان قاضي القضاة أو شيخ الاسلام هو مفتي المسلمين، فقد كان الشخص الوحيد الذي ينحني الجميع أمام رأيه.

في حالة الجرائم الكبرى، كان الديوان يقام في المحكمة العليا وكان لأعيان السلطة المركزية هؤلاء ممثلين على المستوى المحلي والولائي وكانوا لا يخضعون لأية مراقبة منهم.

لم يكن الديوان يضع أي قانون بالمعنى الحالي للكلمة. كان يتلقى اوامر شفهية كان الداي قد حررها في شكل ظهير وبالتالي تعتبر مرجعا قانونيا يعودون إليه كلما صادفتهم قضية مماثلة.

3- الموظفون

كان الموظفون الإداريون الأتراك متخصصون في القضايا المالية والعسكرية. لكنهم كانو متعددي الوظائف حيث كان بإمكان أمين إداري قيادة كتيبة عسكرية إذا ما اقتضى الأمر من دون ان يكون مطلعا بالضرورة على الاستراتيجية العسكرية من أجل ذلك، فعندما كان يذهب في حملة تأديبية لأحد الاعراش كان دوره يقتصر على الانقضاض عليها و" التهامها".

كانت المهام الموكلة إلى الموظفين، مهما كانت رتبهم، قابلة للرشوة وكانت تباع باثمان باهضة،حتى وظيفتي لاغا العرب وخوجة الخيل، حيث أنها كانت تمنح إلى من يدفع أكثر ومن كان له تأثيرا أكبر، بالرغم من كونهما أعضاء في الديوان.

4- الإدارة الإقليميـة

كانت الجزائر مقسمة إلى أربعة أقاليم. من بينها ثلاثة، يدير كل واحدة منها أحد البايات الأتراك المعينين من طرف الديوان. كان الباي شبه مستقل في معقله حيث كانت اللامركزية شائعة جدا. وكانت هذه الأقاليم أو البيالك هي:

1) دار السلطان.

2) إقليم التيطري.

3) إقليم وهران.

4) إقليم قسنطينة.

أ) كانت دار السلطان في الأصل، تشمل الساحل والمتيجة وكانت تخضع مباشرة إلى الداي الذي كان يكلف لاغا العرب بإدارتها.

كان الساحل يشمل مجموعة أرياف الجزائر أو برجوازيي الجزائر، فقد كان الأشراف من العثمانيين وممثلي الدبلوماسيات الخارجية يملكون مزارع ومنازل ريفية.

كان الساحل أيضا مقسما إلى سبع مقاطعات يقود كل واحدة منها أحد الشيوخ، وهي بوزريعة، بني مسوس، زواوة، عين زبوجة، بئر خادم، الحامة والقبة وشمل أيضا أقاليم أو أوطان قبائل السهول كعرش الخشنة في شرق الجزائر، وعرش بني موسى في الجنوب، وبني خليل الذي يمتد من المتيجة بالحراش والشفة بالسبت على طول السا حل من الشرق ومن الغرب.

في الجنوب، كان وطن يسر المجاور للقبائل الكبرى.

ب) كانت المدية هي عاصمة ولاية التيطري التي بالرغم من أنها كانت الأصغر إلا أنها كانت الأغنى والأكثر تأثيرا لقربها من دار السلطان.

ج) كان بايلك وهران مقسما إلى ثلاث قيادات:

الشرق الذي كان يشمل وادي الشلف والكتل الجبلية المجاورة وكان خليفة الباي مكلفا بإدارته.

أما الإقليم فكان مقتسما بين أغاوات قبيلتي المخزن بوهران،قبيلة الدواير وقبيلة الزمول.

د) كان بايلك قسنطينة يمتد من البيبان بالغرب إلى الحدود التونسية المحدودة بواد مجردة. وكان يشمل أيضا كامل الجنوب القسنطيني (الزاب).

للباي أيضا ديوان مكلف بدراسة الشؤون المتعلقة بالاقليم وهو الذي يختار مساعده ويعينه بنفسه وكان يدعى"الخليفة"، يستخلفه في غيابه، إذ بامكانه زعامة قبيلة أو عرش أو وطن ما. كان يُدفع له عن طريق التنازل عن ملكية ما "العزلة" وكان يحصِّل جزءا من الضرائب والغرامات.

وتعود شؤون المالية إلى خزندار الولاية بمساعدة أمين يدعى الخوجة ويساعد هذا الاخير أيضا ثلاثة محاسبين "السيجة" وهم على الغالب نخبة من الاسرائليين. كانت هذه المهام تشترى هي الأخرى.

5- ممثل الباي في الجزائر

كان لدى الباي ممثلا في الجزائر يدعى الوكيل وكانت كل مراسلات الداي توجه إليه عن طريق السيارة وهي بمثابة الساعي ويسيرها الباش سيار.

كان الباي على علم بكل ما يجري في القصر، فقد كان الوكيل يتواصل معه عبر تلك الرسائل التي كانت تحمل لسيدهم أخبارا عن الحياة الإدارية والسياسية والاجتماعية في الجزائر وعن دسائس الديوان.

6- حراسة الباي

أ) للباي حراس أتراك، "زبنطوط"[(1)] وهم مجموعة من الصباهيون المكلفون خاصة بجمع الضرائب وبتحقيق الأمن في المقاطعة.

ب) كتيبة من الفرسان حاملي البنادق "مكاحلية" مهمتهم حمل مطويات الباي إلى داخل المقاطعة و توقيف المنحرفين. كان بإمكان

---

(1) بمعنى اعزب

الباي وضع قوات في قبائل المخزن المدعوة "الدائرة "[1] أو "الدوار "و"الزمول " أو " الزمايل

ج) كان اذا ما اقتضى الأمر، عين مقاتلين من قبائل" الرعية "و هي عبارة عن تجمعات عرقية احتلت أراض قريبة من عاصمة البايلك. وكانت حسب العرف خاضعة لسلطة الباي، تُحصّل منها اكبر حصة للضرائب. وكان يستعان بهم لتزويد القوات بالفرسان. اذا ما كان عدد الحراس الأتراك "المكاحلية" غير كاف.

د) في الاخير. كان للباي بعض الكتائب من الجنود السود يدعون " العبيد" أو "الوصفان "ويرجح أنهم ينحدرون من عبيد البخاري[2] لمولاي اسماعيل المسجونين أثناء حملة هذا الأخير على تلمسان.

---

(1) دايرة جمعها دائرات او دوائر هي مجموعة تنتمي الى العرق نفسه تلتف حول قائد وتسانده وقت الحرب كانت تتشكل من قبائل عربية وبربرية تزود القائد بالسوقة العسكرية اللازمة لحراسته ولحفظ امن الاقليم وخوض الحروب وتسمى ايضا بقبائل المخزن والعرش والجيش .
الزمالة وجمعها الزمايل او الزمول تحمل تقريبا معنى الدائرة غير ان الزمالة كانت اكبر من الدائرة وكانت موجهة لضمان مصلحة القائد اما الدائرة فقد كانت موجهة خصوصا للحروب. وكان القائد او الاغا المنحدرين منها يضطلعون بالقيادة المباشرة لها (الدائرة والزمالة)

(2) يسمى هكذا بسبب يمين الاخلاص الذي اقسم به للسلطان على مجموعة احاديث صحيح البخاري حين تم تجنيده

الباي وضع قوات في قبائل المخزن المدعوة "الدائرة "[1] أو "الدوار "و"الزمول " أو " الزمايل

ج) كان اذا ما اقتضى الأمر، عين مقاتلين من قبائل" الرعية "و هي عبارة عن تجمعات عرقية احتلت أراض قريبة من عاصمة البايلك. وكانت حسب العرف خاضعة لسلطة الباي، تُحصّل منها اكبر حصة للضرائب. وكان يستعان بهم لتزويد القوات بالفرسان. اذا ما كان عدد الحراس الأتراك "المكاحلية" غير كاف.

د) في الاخير. كان للباي بعض الكتائب من الجنود السود يدعون " العبيد" أو "الوصفان "ويرجح أنهم ينحدرون من عبيد البخاري[2] لمولاي اسماعيل المسجونين أثناء حملة هذا الأخير على تلمسان.

---

(1) دايرة جمعها دائرات او دوائر هي مجموعة تنتمي الى العرق نفسه تلتف حول قائد وتسانده وقت الحرب كانت تتشكل من قبائل عربية وبربرية تزود القائد بالسوقة العسكرية اللازمة لحراسته ولحفظ امن الاقليم وخوض الحروب وتسمى ايضا بقبائل المخزن والعرش والجيش .
الزمالة وجمعها الزمايل او الزمول تحمل تقريبا معنى الدائرة غير ان الزمالة كانت اكبر من الدائرة وكانت موجهة لضمان مصلحة القائد اما الدائرة فقد كانت موجهة خصوصا للحروب. وكان القائد او الاغا المنحدرين منها يضطلعون بالقيادة المباشرة لها (الدائرة والزمالة)

(2) يسمى هكذا بسبب يمين الاخلاص الذي اقسم به للسلطان على مجموعة احاديث صحيح البخاري حين تم تجنيده

كان دور هذا الجيش يتمثل أساسا في :

* تحصيل الضرائب
* تحقيق أمن الطرقات والمناطق الريفية
* ردع التمردات
* إنقاذ الداي اذا ما اقتضى الأمر.

7- الادارة المحلية:

كان البايلك يضم العديد من المناطق التي تدعى "أوطان" المتكونة بدورها من قبائل "عروش" ومدن.

كانت هاته الأوطان تحت امرة القائد الذي يعينه الباي. كان بإمكان قائد واحد زعامة وطنا واحد أو أكثر.

وكان في اغلب الاحيان تركيا أو كرغالي[1] وقد يكون عربيا أو بربريا. وكانت مهامه كالأتي :

ادارة الفِرق[2] عن طريق شيوخها الذين كانوا يسيرون مباشرة شؤون تلك التجمعات العرقية التي ينحدرون منها.

(1) الكرغل هو شخص من اب تركي وام عربية أو بربرية
(2) فرقة وجمعها فرق.

تحصيل الضرائب إما لوحدهم وإما بمساعدة أعوان الضرائب التابعين للباي أو لقائد الجيش(المحلة) ادارة عدالة المخزن فيما يخص الشؤون التجارية والعقابية والجرائم.

كان القائد ينطق باحكام السجن ويفرض الغرامات التي يحتفظ بجزء منها لنفسه، يراقب التبادلات الاقتصادية بين القبائل والاسواق المتواجدة باقليمه. كان يؤمّن الشرطة في الاسواق التي كانت تحمل اسماء الايام التي تقام فيها. كما كان يقوم بتقنين تدوال السلع المعروضة للبيع.

كان حضوره يوم السوق اجباريا. ما يدَر عليه قبل كل شيئ أرباحا كثيرة كما إنه ممثل القوة العمومية الذي يفرض نفسه في حالة الشجار التي كانت دائما تؤول إلى القتال. في الواقع كانت الأسواق موعدا للقاء الباعة والزبائن الذين يأتون من ابعد المناطق في البلاد، من الصحراء، التل، الشرق، الغرب.

وكان الأعداء المنتمين إلى قبائل "الصوف"[1] المعادية يرتادون الأسواق وسرعان ما كانوا يتشابكون ويتسببون في اضطرابات خطيرة تضر بالأمن العام واقتصاد المنطقة وممتلكات وأموال المواطنين.

---

(1) مجموعات عرقية.

لم يكن القائد يسكن في العرش الذي يخضع لسلطته بل كان يقيم إما في عاصمة البايلك وإما في مدينة قريبة وإما في برج محصن جيد

كانت المدينة مسيرة من قبل" الحاكم" بمساعدة المجلس البلدي. كان الحاكم بمثابة نائب المحافظ، يمثل السلطة، مخزن الباي إذ كان يتحكم في النشاط التجاري والحرفي للمدينة وضواحيها. كان بإمكان هذا النشاط التجاري الوصول إلى أبعد المناطق وحتى تلك الوعرة أو الخارجة عن السلطة المركزية.

كانت الحرف والنشاطات التجارية للمدينة منظمة بطريقة صارمة. كان الحرفيون والتجار متجمعون في إطار منظمات يسير كل واحد منها الأمين، منظمات الجزارين. النساجين. النحاسين. الحدادين. تجار المجوهرات. الخ..

تجمعات عرقية أخرى مثل السود، البسكريون والسودانيون كان لهم أمنائهم أو "المزوار "[1].

(1) كلمة بربرية تعني " الكبير" كان ينظر لوظيفة المزور بنظرة شزراء بل مهينة لان هذا الموظف يراقب الفتيات المومسات اللواتي كن كثرة بالجزائر. وكان زبائن هؤلاء الفتيات من الجنود الذين حكم عليهم بالعزوبة اما المزور فقد كان له حق فيهن كما كان مكلفا ايضا بالجولات الليلية بمساعدة المساعدين المسمين " الحرسي" وهم اكثر تمرسا منه بحكم ممارستهم لاشغال منهكة.

يخضع الأمناء لرقابة عميد التجار المعروف "بالمحتسب" الذي كانت مهامه متعددة : من منسق للاسعار إلى مراقب السلع الحرفية والاسعار المتداولة ونوعية المواد الغذائية والمصنوعات إلى عميل لدى شرطة الاداب كما يعمل على تنظيم الطرقات المزدوجة الخ...

8- عدالة الشرع

لكل وطن أو عدة أوطان قاض يحقق فيه العدالة في شؤون الأحوال الشخصية، الوراثية والعقارية كما يسهر على حل الخصومات الناتجة عن الممتلكات.

ويعتبر قاضي المقر الرئيسي للبايلك قائد قضاة الأوطان والمدن كلها، كما انه يحكم بالعدل وفق القانون الاسلامي مثله مثل قاضي قضاة المخزن.

يتم تحقيق هذا العدل على مرحلتين : مرحلة الصلح التي يقوم بها القاضي بين الطرفين شفهيا ومن دون اللجوء إلى أية إجراءات أو شكليات. في حال فشل هذه المرحلة، يطلب من المدعي رفع دعوى في شكل مقال، يدرسها القاضي بحضور شاهدي العقد أو"العدول" كما يسميان، وهما موثقان يحرران عقود الإجراءات التي تعتبر قرارات تحضيرية تدون على الورق وتوقع من قبل الموثقين والقاضي.

الشؤون المالية

9– موارد الدولة الجزائرية خلال حكم الداي :

سميت، الخزينة العامة ببيت المال أو الخزنة وتولى تسييرها الخزندار و تمثلت مصادر الخزينة فيما يلي :

1) التركات الشاغرة (تعود التركات الشاغرة قانونا إلى الدولة) أو التي ليس لها وارث نسيب (في هذه الحالة، تحل الدولة محل هذا الوارث).

2) الأراضي الحكومية التي تستغلها الدولة مباشرة أو الممنوحة للإيجار إلى من يعرض اكبر مبلغ من المال.

3) الضرائب المشروعة مثل الزكاة والعشور والجزية.

4) حقوق الجمارك التي يشكل مجموعها تقريبا رسما على القيمة بنسبة عشرة بالمائة على السلع المستوردة والمصدرة أيضا، تتغير بحسب نوع المنتوج وتسمى هذه الضريبة ب "الديونة" أو الجمرك.

5) الغرامات (الخطية أو الغرامة)

6) المعونة وهي نوع من المساهمات تفرض على القبائل اثناء الحرب.

7) أملاك الموظفون السامون (الدايات والباشاوات والأغوات والقادة والقضاة.. الخ) المحتجزة بسبب الخيانة والظلم والابتزاز وافعال أخرى تستوجب العقاب من منظور الدين الإسلامي فكانت أملاكهم تضم إلى أملاك الدولة والأملاك المتنازل عنها إلى أصحاب المقام الرفيع والشرفاء ممن يتمتعون بنفوذ واسع بين القبائل التي ارادت ربط علاقات صداقة معها.

8) الضرائب الجماعية الاستثنائية المسماة بالغرامة (ينظر إليها السكان بازدراء).

9) الهبات والإتاوات المسماة ب"اللازمة" التي تدفعها الدول الاجنبية للابحار بحرية في البحر الابيض المتوسط.

10- الزكاة، وعائها وتحصيلها.

يحدد وعاء هذه الضريبة المشروعة شيوخ الفرق الذين يسجلون ويراقبون التصريحات بالحقول والمراعي والأشجار المثمرة الخاضعة للضريبة، وفي حالة تقديم اقرار خاطئ يقوم الشيوخ بتصحيح الأرقام.

يتم تحصيل هذه الضريبة على يد القائد أو الأغا أو الخليفة أو الباي أو الداي بشخصه حسب الصعوبات التي تظهر خلال العملية ومن

المؤكد ان قبيلة الرعية، التي كانت منظبطة بحكم قربها من الباي، قد دفعت مساهماتها إلى هؤلاء الشيوخ، عكس القبائل المتقاعسة التي تضطر زيارة الباي وطلب المهلة للتكفل بمؤونتها قانونيا.

تقبض هذه الضريبة نقدا وعينا حيث يبيع القابض في عين المكان المنتوجات التي فرضت عليها الضريبة أو يحضرها إلى المقر الرئيسي للبايلك، وكنت سترى اذ سلسلة طويلة من القوافل والجمال والبغال المحملة بأكياس "غرائر" من الحبوب والفضة التي توزن في موازين الذراع الكبيرة.

كما يتلقى الشيوخ والقادة من نسبة الاموال المحصلة، وعندما تكون حصيلة الضريبة بحوزة الباي، يقوم هذا الاخير بإرساله إلى دار السلطان بالطريقة التي سيتم عرضها في الفصل اللاحق.

11- الدنوش

يقدم خلفاء بايات قسنطينة والتيطري ووهران مدينة الجزائر كل ستة أشهر حاملين لخزينة الدولة مداخيل الأقاليم الثلاثة وتسمى هذه العملية بالدنوش. من جهة أخرى يقوم الباي بزيارة هذه الأقاليم بنفسه كل ثلاث سنوات من اجل دفع الضرائب وتجديد ولائه في الوقت ذاته.

بحلول تاريخ الدنوش، يترك الباي عاصمة إقليمه مرفوقا بالشاوش والصباهية والمهلة (الجيش) وحاشيته المتكونة من عائلته وخدامه.

بعدها، يدخل مدينة الجزائر على انغام الموسيقى مانحا الهبات والهدايا والصدقات للجميع.

أما الداي، فقد كان يستقبل بحفاوة الباي الذي يحضر معه عشرين حصانا ركوبا للدولة ويدفع للخزينة 60000 بوجهه(1) (108000 فرنك ذهبي)

يوزع هبات مالية على الاعيان والموظفين من الدرجة الثانية وخدام الداي.

يحصل هذا الآخير على مبلغ 8000 فرنك ذهبي كهدية شخصية توضع في كيس من الحرير.

ولما يحضر الباي امام الداي، يقدم له هذا الآخير يقطانا ذهبيا وقفطانا مطرزا بالذهب يرتديه طوال فترة اقامته بمدينة الجزائر ويعيده إلى الديوان عند مغادرته، يمكث الباي سبعة ايام بمدينة الجزائر عند

---

(1) البوجهه هي عملة جزائرية قيمتها 1.80 فرنك ذهبي اي ما يعادل ستة دنانير بالعملة الحالية. تزن القطعة عشرة غرامات وقسمت الى ربيعة (4/1) وثمن (8/1) تشكل اثنان من البوجهه الدورو (تطور الجزائر الوسطى الصفحة 28).

حلول مناسبة الدنوش كما يوزع الهدايا على مختلف الشخصيات التي قامت بدعوته.

اذا ما ادى الداي مهامه على اكمل وجه خلال السنوات التي انقضت، يبرئ ذمته في ولائم مناسبة بحضوره على مستوى الديوان وبحضور الداي واذا حدث العكس، فانه يواجه خطر الخلع وحجز الأملاك بل حتى الخنق.

يدر السفر السداسي لخليفة الباي إلى مدينة الجزائر المسمى بالدنوش على الدولة مبلغ 24000 بوجهه (43200 فرنك ذهبي) وسبعة احصنة ركوبة وكذا هدايا إلى مختلف شخصيات الايالة.

كان الخليفة يسافر مرتين الاولى في الربيع والثانية في الخريف وتدفع الاموال خلال دنوش الربيع، تضاف اليها تكاليف ثمانين قلة من الزبدة "480 ليرة" وخمسة اغنام واكثر من الف حمولة جمال(1)

يظل الخليفة سبعة ايام بمدينة الجزائر يقوم الداي واصحاب المقام خلالها بدعوته مثله مثل الباي كما يهدى له يقطانا فضيا ولم يكن يرتدي المعطف.

---

(1) حوالي مائتي كيلو في كل حمولة

كان هذا، وبإيجاز، التنظيم الاداري للجزائر ليلة التدخل العسكري الفرنسي الذي قضى عليه في ايام قلائل.

ب) حالة السكان -الوضعية الاقتصادية للبلد

لقد كان التنظيم مجديا نوعا ما وله هدفين اثنين يتمثلان في تحصيل الضرائب وضمان أمن الاقليم، و تتم عملية مراقبة الاقليم بصرامة فحتى اصغر الضيعات لم تكن بمنآى عن رقابة عمال الضرائب.

غير أن هذه الادارة تضع راحة السكان في ثاني اولوياتها فوضعيتهم لا تلفت انتباه السلطات العمومية إلا اذا تعلق الأمر بخطر أو قحط أو وباء أو حصاد رديء أو غزو أو كوارث طبيعية.

انها ادارة سمحت بملأ خزائن الدولة وجيوب الأقلية من القادة.

يمكن اذن تشبيه ثروات الجزائر ومن دون مبالغة، بكعكة مقسمة إلى قطع مختلفة الحجم، تقدم القطعة الاكبر إلى الاشخاص الاكثر نفوذا إما باقي القطع فتصغر تبعا للتسلسل الاداري إلى أن تصل إلى ابسط رسول "السيار" الذي، ورغم مكانته المتدنية في السلم الإداري، إلا انه يحصل على جزء صغير من سلطة المخزن باعتباره عونا ينتمي إلى من نسميهم بأهل المخزن.

وفيما يخص المواطن "الرعية"، فقد كان خاضعا للضرائب والاحتقار بلا رحمة.

بعد مرحلة القرصنة المربحة التي بلغت ذروتها في عهد الاخوة بربروس وموريكوس، عرفت الجزائر حالة من الانهيار وفترة من الضيق الاقتصادي.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، لم تعد القرصنة التي استغلها، ولفترة طويلة، البايلربايات والباشاوات والدايات مربحة كما كان الحال سابقا.

تراجعت مكانة اسطول الجزائر إلى ان صار عبارة عن بعض السفن التي لا اهمية لها. ولكن ما إن تمكنت الوحدات الاوروبية من التنقل بحرية وامان في مياه البحر الابيض المتوسط، فان هذا يعني انها كانت تنقل القليل من البضائع فلم يكن للقبائل البربرية، التي ضعفت جراء عمليات الحصاد الرديئة المتتابعة والتسيير السيئ للقضايا وعدم كفاءة القادة الذين توالوا، إلا بعض المنتوجات للتسليم. كما أصبحت الحبوب والزيوت والجلود والشمع والمرجان تصدر بكميات قليلة. إن هذا الانهيار الذي عاشته مدينة الجزائر قد ألحق أضرارا جسيمة بالدول الأوروبية التي وجدت نفسها محرومة من ممارسة التجارة والقيام

بالعمليات المربحة وانقاذ الاسرى وتجارة العبيد والمنتوجات الغذائية الاستوائية الافريقية التي تمر عبر الجزائر وتونس وطرابلس ومراكش وفاس وطنجة.

تناقصت واردات الدول الاوروبية مقارنة بالماضي غير انه ورغم ضعفها إلا ان مدينة الجزائر بقيت مصدر خوف اذ لم تتجرأ اي دولة على تعليق دفع "الجزية اللازمة" كل سنة إلى الايالة فحتى الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا واسبانيا والفاتيكان لم يتوانوا عن دفع مساهماتهم.

من جهة أخرى لم تكن الخزينة الجزائرية فارغة كما لم تكن هناك ديون مستحقة على الدولة، وبالرغم من تفشي الفقر بين افراد الشعب الذي تحمل على عاتقه نتائج سوء التسيير إلا أنه لم يتوقف عن دفع الضرائب. إضافة إلى ذلك استطاع القادة أيضا بيع الحبوب بالقرض ومنح قروض للدول الأجنبية.

كانت الصناعة الحرفية كافية للاستهلاك المحلي وحتى للتصدير. اما فيما يتعلق بالآلات والمنتوجات المصنعة الاوروبية فقد حرمت الجزائر منها تماما.

وتميز دايات الجزائر، مثلهم مثل مساعديهم، بعجزهم عن تسيير قضايا الدولة.

كان محمد باشا، الملقب بالمجاهد، هو الداي الوحيد الذي يستحق الذكر من بين الدايات الذين تعاقبوا على مدينة الجزائر، اذ قام باشغال بناء ذات طابع استراتيجي كما حمل على عاتقه مسؤولية تحرير وهران من سيطرة الاسبان.

وفي عام 1795، انسحب الاسبان نهائيا. من وهران بعد معارك شرسة توفي فيها جد الأمير عبد القادر وسط صفوف الجيش الجزائري الذي تولى قيادته حاكم معروفة خصاله الاخلاقية والعسكرية العالية، ألا وهو باي معسكر محمد القرضي.

بعد المجد الذي شهدته فترة حكم محمد باشا. بدأ الوضع يتعفن ببطىء وذلك مع بداية عصيان جيش الداي واسطوله وتمرد الانكشاريين لمجرد عدم دفع أجور الجنود في وقتها بل حدث وإنهم اسقطوا العاهل الجالس على العرش وقتلوه ومن ثم فرضوا قائدهم الذي صار يتمتع بالشعبية نظرا لكرمه إتجاههم.

في خضم حالة الفوضى هذه، وهنت السلطة وصارت بيد اشخاص لا خبرة لهم، فقد وصل اسكافيون ونساجون وفحامون إلى السلطة العليا ومارسوها من دون وعي وبذهن بليد.

ووسط هذا الوضع من التفكك، قادت فرنسا حملتها العسكرية ضد الجزائر.

التدخل الأجنبي

ج) احتلال الجنود الفرنسيين لمدينة الجزائر

مع بداية القرن التاسع عشر، كان للجنود الفرنسيين وزن في النظام الملكي السائد فتوجب اذن إلهاء هذه الجيوش الخارجة من الحروب الثورية والنابوليونية.

فتحت الحقبة الاستعمارية الباب على مصراعيها وتزامن هذا مع بروز الحملة العسكرية لفرنسا التي اعد لها اقتصاديون ورجال أعمال ومصنعون وفي البرلمان اعتبر الليبراليون من المدافعين عن فكرة احتلال البلدان البربرية غير ان الرأي العام لم يسمح بالسخرية، اذ شك في محاولة ما لفرض القوة من وراء الحملات التأديبية التي ناد بها الملك ووزرائه.

1- مهمة الرائد بوتان عام 1808

تعود فكرة احتلال مدينة الجزائر إلى اكثر من قرن اذ انها بدرت في ذهن نابوليون الأول أيضا مثلما سنراه لاحقا.

منذ زمن طويل، توجهت انظار فرنسا إلى هذا البلد الذي اراد نابوليون احتلاله من اجل اقامة نقطة استراتيجية وعرقلة الطريق امام انجلترا.

لقد قال نابليون : "ان وضع قدم على ارض افريقيا هاته تجعل انجلترا تفكر" وهكذا، وجه في الثامن عشر افريل سنة 1808 أوامر صارمة إلى وزير البحرية كي يفكر مليا في حملة احتلال مدينة الجزائر برا وبحرا أيضا، كما سأل ما اذا كان بالساحل ميناء ما حيث يكون اسطولهم بمنأى عن أية قوة فائقة، وغير ذلك من التساؤلات.

كما أضاف التقرير ما يلي:

"اعدوا العدة واجمعوا المعلومات، بحيث لن توجد كلمات مثل لكن ولو ولأنّ.. ارسلوا واحدا من مهندسيكم السريين على متن سفينة"

"عليه ان يتجول بنفسه داخل الاسوار وخارجها وان يدون ملاحظاته من دون ان ينقل اوهاما"".

لقد كان هذا الرجل الرائد" فينسان فيس بوتان" الذي توجه إلى الجزائر بزي مدني على متن سفينة " الروكان".

قام بوتان بجولات سياحية حتى وصل إلى الحراش ومن ثم رأس ماتيفو، كما تجاوز أيضا الحدود المخصصة للأوروبيين. لقد عوقب الاعوان الجزائريون بسبب مرافقتهم للجاسوس الفرنسي الذي كان محل شك الداي.

غير أنه أتّم مهمته على أكمل وجه وأعد تقريرا من تسعة وثلاثين صفحة يحمل عنوان " اطلاع عام عن المدن والموانيء والمدفعيات بمدينة الجزائر سيخدم مشروع النزول والاستقرار النهائي بهذا البلد"[1]

وخلص التقرير إلى انه يمكن تنفيذ عملية الغزو بين رأس كاكسين[2] 15 وسيدي فرج ومن الأعلى اذ يجب تنفيذ العملية بهذه النقطة بالذات لان الضفة سهلة البلوغ لغياب التعزيزات أو المدفعيات باستثناء برج سيدي فرج الذي لا يستحق الذكر على الاطلاق.

خلال تنفيذ عملية الغزو، لن يوجد أي احتمال لان يواجه الفرنسيون قذائف مدفعيات، ما كما لن يضطروا إلى تسلق الأعالي اذ سيعبرون ممرا منحدرا يكاد يكون بعيدا عن انظار الموانئ والسهل حيث يوجد خيالة لا يستهان بهم.

في النهاية، خلص بوتان إلى هذا الملخص المهم

نقطة النزول: سيدي فرج

(1) يجب الانتباه الى كلمة "النهائي" التي تترجم اطماع فرنسا التوسعية في تلك الاونة انه من المثير للفصول ملاحظة ان كتاب فوكولد الذي نشر عام 1888 والذي يلخص فيه سفره عبر المغرب عام 1883 يحمل عنوان "اعتراف بالمغرب" اذ كان المستكشف ومن دون ادنى شك على دراية بمخطوط بوتان بما انه اعطى لكتابه العنوان نفسه تقريبا.

(2) المسمى براس القناطر.

نقطة الهجوم : قصر الأمبراطور

نمط الهجوم : مدافع عند نهاية الطرقات مدعمة بفرق دورية.... الخ

قوات الداي وقت السلم : 15000 على الاكثر

قوات الداي وقت الحرب : 60000 على الاكثر

عدد الجنود لتنفيذ الحملة : 35 إلى 40000 جندي

الذخيرة : ما يلزمنا على الاقل لمدة شهرين قبل وضع اقدامنا على أرض الجزائر، وحتى لا نُخِل بالاحتياطات المتخذة لضمان وصول المؤن من جميع الاصناف، من الضروري ان نكون مزودين وبشكل جيد.

الماء، الهواء، الامراض، كل شيء على ما يرام.

مرعد **الغزو** : من العاشر ماي إلى العاشر جوان كأقـصى تقدير.

الشرطة : عادلة وصارمة، دفع الأجور بدقة، احترام الآداب العامة وتقاليد البلد.

الأسلحة : 907 كرة مدفع، 658 قطعة مدفعية وجهت 528 منها نحو البحر.

لم يواصل نابليون مشروعه لانشغاله بمغامراته في اسبانيا وبنزاعاته مع الداي كما انه تراجع بسبب نتائج الحصار القاري وحملته على روسيا.

2- الاعدادات للحرب عام 1827، الأسباب والذرائع

لم تكن اطماع فرنسا بالجزائر مموهة. في حالة ما اذا كان على هذا البلد اعلان الحرب على الداي، فسيكون الهدف من ذلك احتلال الايالة وتكوين مستعمرة. ولكن وجب التصرف بيقظة خشية الاخفاق أو مواجهة معارضة خطيرة من قبل القوات الأوروبية.

من المعروف أنه يصعب احتلال ميناء مدينة الجزائر فكم من اساطيل هلكت أمام قوة مدفعيات المدينة وبحارتها المقدامون، أشهرهم الرايس حميدو الذي كان محور العديد من الاساطير (توفي عام 1815 خلال صراع بحري مع الاسطول الأمريكي الذي قاده الكوموندور دوكاتور).

لطالما كان البحر الهائج عاملا في مصلحة الجزائريين، ضف إلى ذلك موقف أنجلترا المعارض لاستقرار فرنسا في الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، ولكن فرنسا اربكتها طوال حكم نابليون كما وسعت

بريطانيا وبشكل كبير امبراطوريتها الاستعمارية غير انها عارضت فكرة استرجاع فرنسا لأنفاسها.

اما الايالة، فهي لم تعد تشكل خطرا مثلما كان الحال سابقا، كما ان التقارير الرسمية الدبلوماسية قد كشفت عن ثراء خزينتها والسلم النسبي الذي تشهده اوضاعها الداخلية وضعف بحريتها وكذا تزعزع نظام دفاعها وهشاشة جيشها المفتقد إلى التدريب وإلى اطارات عسكرية بأتم معنى الكلمة، اما المحاربون الجزائريون الذين يعارضهم الداي فسيضطرون إلى مواجهة طلقات المدفعيات الفرنسية الثقيلة. إلى جانب ذلك، فان السلطة المركزية قد فقدت شعبيتها لان الشعب يمقت السلطة التركية من جهة، ولكنه لم يبد اي ردة فعل من جهة اخرى بل ظل يعيش تحت سيف قهر الانكشاريين وجشع المخزن وتعجرفه.

كما كان النظام الملكي لشارل العاشر متعطشا إلى عمل باهر يبعث فيه الحياة، وكانت جنوده المتعطشة للحرب مصدر قلق، فلم يكن هناك بد من ايجاد منطقة للاستيلاء عليها، وكانت الجزائر في الواجهة، تزامن ذلك مع فترة التوسع الاستعماري. كانت الظروف مواتية، بقي فقط انتظار الفرصة المناسبة أو القيام بالابتزاز، لم يبق اذن غير النزاع الذي

اندلع عرضا أو بسبق إصرار متجسدا في ضربة المروحة التي وجهها الداي إلى قنصل فرنسا بيار دوفال في الثلاثين افريل عام 1827 [1].

قال لامونيار : "ان الابتزازات التي بررها الداي، ستكون ذريعة بيد الوزير بولينياك العاجز عن حل المشاكل الداخلية وعن التكيف مع التطور الطبيعي لليبيرالية. وبفشلها في مشروع التعديل الحكومي الاوروبي شعرت الحكومة أنها بحاجة إلى ايجاد هيبة لمخيلة الشعب في الوقت الذي انقسمت فيه الحملة الانتخابية، من اجل الانطلاق في حملة عسكرية لا تحمل على ما يبدو فوائد مادية غير انها تهدف إلى زيادة نفوذ تم الوصول اليه سابقا[2].

---

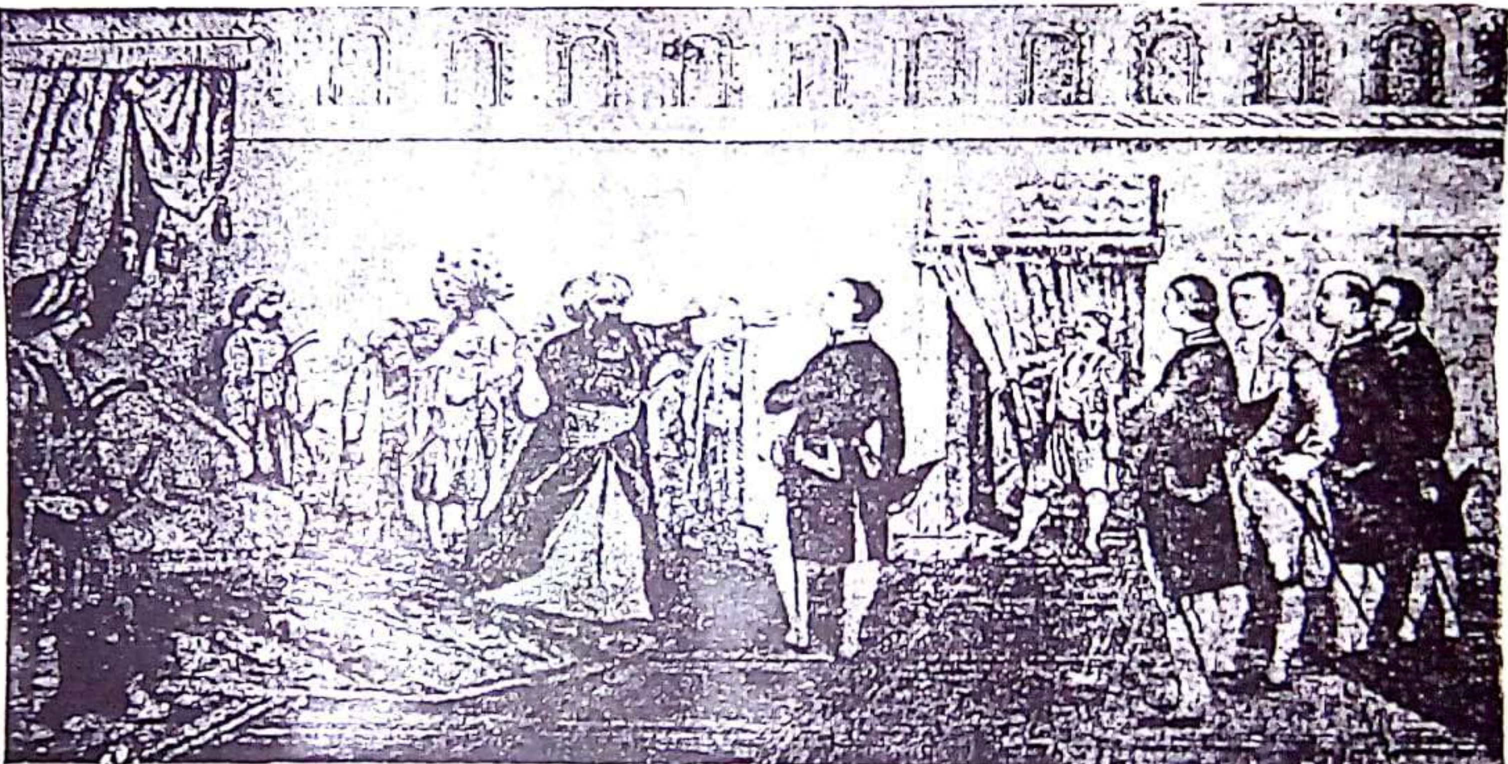
(1) قام الداي حسين فعلا بتوجيه ضربة بالمروحة وهو ما تبينه رسالة الداي المكتوبة باللغة التركية والموجهة الى سلطان اسطنبول في الثلاثين جمادى الاول 1243 الموافق للتاسع عشر ديسمبر 1827 حيث اشار الى هذه الحادثة وطلب ارسال سوقة عسكرية من اتراك سميرنا ومن المناطق الساحلية

ويتمثل نص الرسالة في : "اجاب القنصل المذكور بعبارات جارحة انه لا يمكن للملك ودولة فرنسا الرد على الرسائل التي وجهتها إليهم كما تجرأ على التلفظ بكلام يهين العقيدة الاسلامية ويسيء الى شرف فخامة الداي.

وبما انه لا يمكن قبول هذه الشتائم التي تجاوزت الحدود كلها وبسماع نداء شجاعة المسلمين قمت بتوجيه ضربتين او ثلاث ضربات بمروحتي التي كنت امسك بها"

المجلة الافريقية 1952 رسالة اخر دايات الجزائر الى الوزير الأكبر للإمبراطورية العثمانية من الصفحة 188 الى الصفحة 195

(2) مارك لامونيار تاريخ الجزائر المصور الصفحة 27 جوتييه باريس



حادثة المروحة

LE COUP D'EVENTAIL

3- اسباب حادثة المروحة

رغم انه تظاهر بصداقته للداي وبمساعدته له في بعض القضايا التجارية، إلا ان القنصل دوفال تواطؤ مع نصابين يهود وفرنسيين حاولوا الغاء دين مستحق الدفع والذي يمثل مبلغ الحبوب التي سلمتها الجزائر إلى فرنسا.

غير أن هذا الدين الذي اقترضه مجلس الادارة لم يدفع قط. ففي العام 1819، ابرم اتفاق بين البلدين من اجل تقليص قيمة الدين إلى سبعة ملايين فرنك يدفعها الفرنسيون في شكل اقساط ابتداءا من 1820، بواسطة السماسرة اليهود يعقوب كوهن باكري وميخائيل بوجناح المسمى ب"بوزناق".

دفعت فرنسا مبلغ اربعة ملايين غير انها علقت الدفع ممارسة الحق المزعوم في حبس باقي الرصيد من اجل الحفاظ على ديون المفاوضين الجزائريين تجاه التجار الفرنسيين القادمين من مرسيليا، اذ وضعت هذا المبلغ في خزينة الودائع مع رفع دعاوى امام المحكمة التجارية بباريس، لم يعجب هذا الاجراء الفريد من نوعه والمناقض لمبادئ القانون الدولي، الداي حسين الذي رفض اختصاص السلطات القضائية الفرنسية وكذا

تعليق الدفع، اذ اعتبر ان قضية الديون المستحقة على الرعايا الجزائريين من اختصاص السلطات القضائية الجزائرية وذلك بموجب الاتفاقيات التي تجمع فرنسا بالجزائر، لم يكن بإمكان الداي ضبط أعصابه ففي يوم عيد الفطر، قال للقنصل دوفال الذي جاء لتقديم تهانيه : "لماذا لا يرد ملككم على رسائلي؟" فرد القنصل قائلا : "ليس من عادة ملكنا الرد على اشخاص اقل منه شأنا من دون أن يمروا بممثله" (1)

فكان هذا الرد غير اللائق بل المهين بشخص قائد دولة سببا كافيا لحادثة المروحة.

استغلت فرنسا هذه الحادثة بصخب اثر الاهانة التي تعرض لها ممثلها، وارسلت بعدها ربان سفينة "كولي" على رأس فرقة بحرية من اجل الحصول على اعتذار، فسلم هذا الأخير ملاحظة إلى قنصل سردينيا يفرض فيها مجيء وفد يرأسه وكيل الحرج (وزير البحرية) على متن سفينة اميرال من اجل تقديم الاعتذارات السياسية باسم الداي إلى القنصل. بعدها، تحدى العدو الفرنسي ميناء الجزائر وارسل مائة طلقة وطلقة(1) كانت وبيساطة اعلانا للحرب.

(1) هذه رواية المؤرخين وهي تختلف عن رواية الداي
(1) م. لامونيار تاريخ الجزائر المصور الصفحة 27



المارشال دوبورمون
LE MARECHAL DE BOURMONT

نادرا ما روت كتب التاريخ عن طلبات اكثر اهانة من هذه، رغم دراية فرنسا بغطرسة الداي. لقد سبب هذا الانذار رد فعل متوقع ونتج عنه صراع خُطط له مسبقا، وقال مارنسيي في هذا الصدد : "ستكون

القطيعة نهائية هذه المرة، واذا ما كانت فظاظة رجل سببا وحيدا لذلك، فإنها ستجر الجزائر وفرنسا إلى ما لا يحمد عقباه، غير انه لا يجب اعطاء هذا السبب العرضي اكثر من قيمته[1] ".

انتظرت فرنسا مدة سنتين ونصف للانتقام لهذه الاهانة كما واجهت في الواقع معارضة انجلترا ولكنها واصلت اعداداتها في الوقت نفسه.

كان وزير الحرب، الذي يقوده الجنرال الكونت لويس دي بورمون، على دراية بان جيش الحملة الفرنسي المتفوق من جميع النواحي سوف يسحق صمود الجيش الجزائري وطاقته البشرية والمادية والكمية والنوعية، انه الجيش الاقوى في العصور الحديثة اذ سخر، لتنفيذ عملية الغزو، 37507 جنديا من القوات البرية و24000 بحارا و4512 حصانا و600 باخرة من بينها 103 سفينة بحرية وكذا مؤن ودخائر وتجهيزات واركان جيش يتولى مساعدتهم مهندسون وجغرافيون ومترجمون ورسامون وعمال طباعة وصحافيون ومؤرخون رسميون.. الخ.

أخذ تقرير بوتان المؤرخ في نوفمبر 1808 بعين الاعتبار، وطبقه الكونت دي بورمون حرفيا عام 1830، وذلك بعد دراسة متقنة لنص بوتان وخرائطه المدروسة بدقة، ولهذا السبب قمنا بعرض الجزء الاهم من هذا التقرير.

---

(1) مارسيي – تاريخ افريقيا الشمالية – لوروكس باريس



الأميرال دوبيري
AMIRAL DUPERRE

كما كان على الأميرالين اوسيز ودوبيري ان يستلهموا منه أيضا اثناء التحضير للحملة العسكرية. لقد تم نشر هذا التقرير في مختلف اركان الجيوش تحت عنوان " نظرة على دولة الجزائر".

ان اعدادات الغزو قد مهدت لظهور دسائس وانتهاكات بل حتى فضائح اتهم بها الجنرال دي بورمون بسبب المخالفات التي لوحظت في الصفقات التي ابرمها من دون التزام.

لم يكن لهذا الجنرال ماض نظيف فتغيرات أرائه المفاجئة افقدته شعبيته بل انه لم يسلم من الصحافة والغرفة. غير أنه ورغم السمعة السيئة التي يتمتع بها، إلا ان الملك شارل العاشر سلمه مهمة تسيير الحملة العسكرية ضد مدينة الجزائر.

كان الهدف من احتلال مدينة الجزائر الذي جندت له عدة فرق عسكرية، مكونة من فرنسيين حركوا اسطولا عملاقا تطلب انفاق مبلغ طائل، للقضاء على العبودية والانتقام لحادثة المروحة التي استهدفت رجلا ذا سيرة حسنة. كان من الممكن تسوية هذه الحادثة بالطرق الدبلوماسية إلا ان الحملة التأديبية تحولت فيما بعد إلى احتلال فعلي[1].

وكتبرير لإعدادات الحرب، تذرعت فرنسا بالإهانة التي تلقتها وبضرورة وضع حد للقرصنة الجزائرية التي يجب تخليص البحر المتوسط منها من اجل صالح دول اوروبا وأمريكا كما تذرعت بضرورة

(1) عبد القادر - ديسترايور - شانتوران. الصفحة 92

القضاء على العبودية التي تمارسها بعض الدول البربرية على نطاق واسع وكذا تحرير الاسرى المسيحيون المحتجزون كرهائن خلال عمليات القرصنة.

كما تحدثت الصحافة الفرنسية والبرلمان والمقابلات الدبلوماسية عن ضرورة وضع حد لهذه الممارسات اللاانسانية وقمعها والقضاء عليها بالقوة اذا اقتضى الامر.

لقد رق قلبهم لحال الاسرى المسيحيون[2] الذي لم يكن بالسيء إلى هذه الدرجة، غير أنهم نسوا الحديث عن مصير العبيد المسلمين الذين قتلوا بحد السيف بالسجون الفرنسية والاسبانية والهولندية والانجليزية... . الخ فالبواخر الفرنسية قامت هي الاخرى بعمليات قرصنة بالبحر الابيض المتوسط.

في الواقع، كان الهدف من وراء هذه الحساسية الزائفة ورابطة الدول الاوروبية التي نصبت نفسها فارسا للحقوق المهضومة هو خلق المستعمرات وتوسيع الاسواق من اجل الترويج لمنتجات المصانع الاوروبية التي حركتها آلية حادة في تلك الفترة.

---

(2) كان السبب وراء رد فعل الكنيسة هو استحواذ الجزائريين على سفينة يمتلكها الفاتيكان (سبتمبر 1826)

لقد كان الهدف اذن وراء محاولة القصف الذي قامت به فرنسا ضد المدن البربرية قبل 1830 هو التوسع الاقتصادي.

فمنذ وقت طويل، بررت فرنسا أملها بحل محل الاسبان الذين انسحبوا تماما من المرسى الكبير بوهران عام 1795.

و في عام 1815، قصف أسطول بريطانيا العظمى "اللورد اكسموث " ميناء مدينة الجزائر بهدف الاستحواذ عليه.

4- معارضة بريطانيا العظمى

اثارت اعدادات فرنسا الكبرى قلق انجلترا التي فهمت المناورة جيدا.

من جهة أخرى اراد شارل العاشر تعزيز حكمه المتزعزع اذ صرح قائلا : "انه من الجيد الدخول إلى الديار ومفاتيح مدينة الجزائر في ايدينا".

بالرغم من الاسرار التي اخفاها بولينياك، والذي بدأ التحضير لدائرة العلاقات الخارجية بلندن قبل 1828، إلا أنه رسخ المبدأ العام القائل بان بعض الممتلكات خارج اوروبا لا تغير من موازين القوى العظمى.

لقد قال بولينياك : "كان هدفي هو تهيئة جو من الحرية لحكومة الملك حتى تحقق غاياتها بمدينة الجزائر، اذ يعتبر حيازة اقليم المدينة امرا ضروريا وانجازا مجيدا في الوقت نفسه".

ستندلع عن قريب اذن شرارة المنافسة بين باريس ولندن كما لوحظت مراوغات بين البلدين لأكثر من سنتين.

كانت لندن على دراية بأن الأمر ليس متعلقا باستعراض بسيط للقوى بل بحملة عسكرية واسعة النطاق وذات افاق استقرار، احتجت باريس على هذا الموقف ورفضت تقديم مكتوب إلى انجلترا.

وقال بولينياك بهذا الصدد : " كان هدفنا وبكل اخلاص إنسانيا، كما أردنا، فضلا عن انتقامنا للإهانة التي لحقت بنا، القضاء على عبودية المسيحيين والقرصنة وكذا على الاتاوات المهينة التي تدفعها الدول الاوروبية للايالة.



الأمير دي بولونياك

LE PRINCE DE POLIGNAC
L'artisan de la conquête algérienne

ففي خضم هذا النزاع والحملة الشديدة التي شنتها الصحافة ومداولات الغرفة، اعدت هذه الحملة على مرأى ومسمع الجميع، فحتى خديوي مصر كان على علم بمحاولات فرنسا، كما لم يكن الداي حسين جاهلا "بالإعدادات المذهلة" للحرب (استعملت هذه الالفاظ من قبل دائرة العلاقات الخارجية). ولكنه لم يحرك ساكنا ولم يطلب معونة من الخارج كما لم يقم ولو بتجنيد جزئي مسبق إلا في اللحظات الأخيرة، حيث جندت بعض السوقات العسكرية من قبائل المخزن واحضرت إلى مدينة الجزائر من دون ادنى فكرة عن ماكان وضعها.

كما تلقت القبائل الساحلية انذارا عن احتمال وقوع غزو للجنود الفرنسيين، غير انها لم تنتهج اي نظام دفاعي كما كان الداي على دراية بإعدادات فرنسا للحرب وبجواسيسها بباريس ومرسيليا وطولون.. .... . الخ، انه لمن المزعج التفكير في عملية التنقيب التي مورست عليه من قبل حاشية فاسدة متكونة من متآمرين يهود على غرار عائلة بن دران[1] وبوجناح وباكري وكذا جزائريون وايطاليون أو اشخاص من جنسيات متعددة، فحتى تاليران قد ساهم، في ذلك الزمن، في تدهور

(1) و اسمه هو موردخاي بن دران

الادارة الجزائرية التي مورس فيها، وعلى نطاق واسع، الاخلال بالواجب والابتزاز.

5- هبوط القوات الفرنسية

في الرابع عشر جوان 1830، وعند النزول بشواطئ سيدي فرج اعترضت فرنسا بعض الخيالة الذين توزعوا في إنحاء الشرم غير أنهم ما لبثوا وان تم القضاء عليهم اثر وابل من طلقات رصاص العدو والقنابل المميتة وتم اسكات برج "تور شيكا" في وقت قياسي[1].

كما اندلعت بعض المعارك على مستوى سيدي فرج وسطاوالي وسيدي خالف وبرج الامبراطور المسمى أيضا بالسلطان كالاسي أو برج مولاي حسن، فكان هذا الصمود الاخير.

رغم اعتقادنا لوهلة بان برج الامبراطور قوي وحصين، إلا انه تم الاستيلاء عليه بعد تعرضه لعمليات قصف واجهها مدافعوه بصمود لا مثيل له.

و يحكي لنا ل. فيرود عن مقولات سمعها على لسان شيوخ قبائل المخزن اولاد عبد النور بقسنطينة حول اول مقاومة للجنود الجزائريين بالجزائر :

---

(1) "البرج الصغير" وهو الاسم الاسباني لهذا الحصن

"كانت السوقة العسكرية لإقليم قسنطينة عبارة عن تشكيلة من ثلاثة ألاف خيال تقريبا. وبوصولنا إلى مدينة الجزائرأقمنا معسكرنا تحت برج الحراش وبعدها بأيام لمحنا الشراعات الاولى للأسطول الفرنسي بالقرب من الشرم.

لما علمنا بان عملية الغزو تمت بشاطئ سيدي فرج، توجهنا وبعجلة إلى هذه النقطة، إلا ان الغزو قد تم ورأينا معسكر الجيش الفرنسي على الشاطئ. وفي الغد، قام الباي أحمد بتجميعنا ودفعنا نحو الجناح الايسر للفرنسيين.

لاق هجوم الخيالة هذا نجاحا، اذ تمكنوا من اختراق معاقل العدو وخلق فوضى في صفوفه وكم كانت مفاجئة العدو كبيرة حين لمح هذا الحشد يعدو اذ لم تسمح هذه الهجمة المباغتة للعدو بإيجاد وقت لاستخدام السلاح.

لم يدم هذا النصر طويلا، فحين طلب منا القاء الفرنسيين بالماء، اعادوا التحكم في زمام الامور وهاجمونا بالحراب فقضوا علينا والحقوا اضرارا جسيمة بالمعقل الذي اعتقدنا لوهلة اننا صرنا سادته. تقدم جيش العدو واستحوذ على معسكرنا كما فقدنا كل متاعنا. بعد هذه

الهزيمة، ابتعدنا عن ساحل مدينة الجزائر وتوقفنا بالأعالي حيث قدمت لنا بعض الخيم والمؤن عوض التي ضاعت منا خلال الهجوم الاول للعدو مثلما سبق ذكره سابقا. لكن كان علينا ان لا نفرح بمتاعنا الجديد طويلا، لان مشاة العدو استحوذوا عليه وللمرة الثانية (خلال معركة التاسع والعشرين جوان ربما). بعدها، صار الفرنسيون سادة مدينة الجزائر وعدنا نحن ادراجنا إلى قبائلنا ".

في الخامس من جويلية، تم غزو مدينة الجزائر من دون ادنى مقاومة تقريبا فحتى الفرنسيون انفسهم دهشوا من الجزائريين الذين سمحوا بهزيمتهم بهذه السهولة في حين انه كان باستطاعتهم القضاء عليهم كما يقضى على الفأر في المصيدة غير ان العناية الالهية[1] وغفلة القادة الجزائريين خاصة قد ساعدت الجنود الفرنسيين.

(1) "بمجرد ان سئل جندي من جنود الحملة ما اذا بلغنا شاطئ سيدي فرج حتى ظهر بدويون مغطون 28 ببرانسهم البيضاء وهم يستديرون في الرمل ويبرزون مهاراتهم في تحريك الرمح وتصويب البندقية. ان منظر هؤلاء المتوحشين اثار الجنود الفرنسيين غير انه لم يخفهم" (الحملة العسكرية ضد الجزائر عام 1830 هنري نوجيراس وجوليار باريس)

د) بروز الأمير عبد القادر والمقاومة التي استمرت طويلا

دام الاشتباك مع قوى الداي اياما قلائل وهو الوقت الذي استغرق لإنزال القوة العسكرية بسيدي فرج من دون ان يبدي سكان مدينة الجزائر ادنى مقاومة، كما تم نهب الخزينة المقدرة بـ 48700000 فرنك ذهبي ما يعادل 85 مليار[2] بكل وقاحة. ساعد جزء من نقود الدولة في تغطية تكاليف الحملة العسكرية اما الباقي فقد وزع بين الضباط بطريقة نجهلها، غير ان هذا لم يمر بسهولة مثلما توقعنا. فبعد ان دحرت مقاومة الجنود النظاميين في الخامس جويلية 1830 وتناثرت القوات في اقطار العالم الاربعة، تولى شاب ذو الاربع والعشرين ربيعا من قبيلة هاشم[1] يسمى عبد القادر السلطة رغما عنه واضطر إلى خوض مقاومة ضروس ضد المستعمر طوال خمس عشرة سنة بداية من 1832 إلى غاية 1847.

---

(2) بالسبائك الذهبية والفضية من دون حساب الاقمشة والصوف واللؤلؤ والجواهر الثمينة وقطع المدفعيات. تاريخ الجزائر البارون دي فانشون 1839 باريس الصفحة 249.

(1) كانت قبيلة قوية تحتل السهل الخصب الاكبر حول معسكر وهي من اصل زنتي ربما وقريبة قبيلة بني عواد وبني مرين وبني راشد....... الخ. كانت عون الملوك في كل وقت وهو ما يفسر اسم هاشم الذي يعني "تابع" كما لعبت دورا سياسيا هاما في حياة سلالات البربر وسلالات الاتراك بعدها والتي وفرت لها سوقة عسكرية بشرط التمتع بأراضي الغريس والحصول على الاعفاءات الجبائية. من الصفحة 141 الى الصفحة 151 ا. ليسبيناس.

كان لهذا الخصم وزن عند الجنود الفرنسيين الذي بين لهم ان الجزائر، حتى وان ضعفت ورضت بهذا الاستعمار، إلا انها لن تعترف بالهزيمة.

فرغم ضعف الإمكانيات، إلا ان المعركة التي خاضها الامير عبد القادر كانت دامية.

من جهة أخرى دامت حروب الغزو من جويلية 1830 إلى اكتوبر 1872.

كما كان من الضروري، خوض معركة لا تقل مدتها عن اثنان واربعين سنة، معركة ابادة وحرق للغابات والقرى ونهب واستيلاء على الملكيات وايواء وترحيل للسكان من اجل تهدين هذا البلد الذي اضطر لحمل السلاح مرارا وتكرارا.

واليكم ما رواه لنا الأمير محمد ابن الأمير عبد القادر في كتابه "تحفة الزائر" حول احتلال مدينة الجزائر :

"في هذا اليوم، قصفت المنازل وواجه السكان الموت تحت الانقاض كما بلغ الاسى اشده بالمدينة وبدا القلق على محيا سكانها، ولما استيقظ

الداي من سباته بعد فوات الاوان، التمس الخلاص لعائلته[1] و لسكان المدينة، وهو الطلب الذي حظي بموافقة الماريشال قائد الجيوش الفرنسيين"[2].

كما أضاف :

"انتشر خبر احتلال مدينة الجزائر بسرعة البرق وزلزل الشرق والغرب، لقد اعتبر حدثا مؤسفا، فلو كانت حكومة الجزائر مستعدة ومتمسكة بالدفاع عن وحدة الإقليم ولو اتخذت احتياطاتها حيال هذا الهجوم المباغت للعدو، ولو تم تحضير الجنود وتجهيزهم وتدريبهم على فنون الحرب والقواعد العسكرية، لما حقق العدو غاياته بهذه السهولة وتلك السرعة".

ان الغطرسة والتفاخر والتعاظم عيوب اعمت بصيرة الرجال، ضف اليها يسر الحياة والبذخ الذي ادى بهم إلى التخلي عن قضايا الدولة التي لم يعد لها وزن مثلما حدث مع قضية الاندلس[3].

---

(1) نعلم بأنه سمح للداي بأخذ املاكه وترك الجزائر اذ استقر بادئ دي بدء بنابولي ثم بالإسكندرية حيث لاق حتفه بعد سنوات.
(2) تحفة الزائر الجزء الأول الصفحة 84
(3) المرجع نفسه الصفحة 85

منذ الاستيلاء على مدينة الجزائر، اصدرت فرنسا التي عبرت رأس الهبوط من دون عائق، مرسوما يتضمن غزو الايالة، واليكم ما يرويه لناج. سار بهذا الخصوص:

"في الثاني عشر نوفمبر 1830، كتب وزير الحرب إلى نظيره وزير الشؤون الخارجية لاخباره بالقرار الذي اتخذه المجلس بخصوص مدينة الجزائر. كما طلب القائد الاعلى لجيش افريقيا معرفة نوايا الحكومة حيال المدينة من اجل اتخاذ الاجراءات المناسبة، وبعد ان تلقى الجنرال جيرارد اوامر من الملك وتشاور مع نظرائه، اخبره بان نوايا الملك هي الحفاظ على مدينة الجزائر بهدف ضمان ترويج فائض السكان ومنتجات المصانع وكذا انتاج السلع الغذائية الاستعمارية"[1].

اعلن الجنرال كلوزال بعدها في شهر نوفمبر 1830، عن نية باريس في احتلال مدينة الجزائر وبقي فقط اقناع القوى العظمى بالموافقة، لقد عبرت انجلترا خصوصا عن رفضها غير ان شارل العاشر قال : "لا آبه تماما لبريطانيا العظمى"[2].

---

(1) السياسة التركية في افريقيا الشمالية خلال عهد الملكية ج.سار الصفحة 66 جوتنار باريس.

(2) انظر ايضا الى الرسالة التي وجهها البارون بيشون الى دوق روفيجو (مراسلة الدوق روفيجو 1831-1833) الجزائر ج.كاربونال 1921.

في الخامس سبتمبر 1830، عزل الماريشال دي بورمون من اداء مهامه واستبدل بكلوزال. وكان اليهودي باكري هو من طلب، في الحادي عشر اوت 1830، رؤية الماريشال اذ نقل له خبر استبداله بعسكري اخر. بعد وقت قصير استقبل دي بورمون رسالة رسمية اكدت المعلومات التي قدمها التجاري اليهودي الخطير.

II- مؤسسات الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر

1- رد الفعل الشعبي

انه من عادات افريقيا القديمة ان يفرض على السكان توحيد الصفوف ونسيان الاحقاد والبغض من أجل مواجهة الاخطار الاتية من الخارج.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، يتم انتخاب رجل حكيم ورزين يلم عموما بالعلم الذي كان معروفا في ذلك الزمن، يتسم بالشجاعة وله ذرية صالحة واصل الشريف.

فسواء كان من قبيلة عربية أو بربرية، يسمى هذا الرجل بالشيخ أو الامين أو الكبير أو الأمير أو السلطان. وفي عام 1830، صارت هذه العادة القديمة، التي تعود إلى عهد القرطاجيين، تمارس بطريقة عفوية من قبل المغاربة عند الشعور بالخطر اذ اعطت مفعولها مع بدء غزو الجزائر في جوان 1830. لقد عاشت المدينة اكيدا فترة من التردد لم يستوعب خلالها الجزائريون الخطر المحدق بهم، فاحتلالها بالنسبة لهم

مفاجئة كبرى. كما ظنوا، من جهة أخرى، ان فرنسا ستعود ادراجها وهذا ما لم يحدث. اضافة إلى ذلك، لم تلبث المقاومة ان اندلعت في جميع انحاء سهل متيجة اذ ظهرت حركات كفاح عفوية.

2- الفوضى التي تبعت الغزو

بسبب عجز القادة وكذا الفساد الكلي بالإدارة المركزية الجزائرية الذي تقف ورائه القيادة العسكرية الفرنسية التي امسكت بزمام السلطة المدنية والعسكرية بالجزائر وقضت على كل اثر للحكومة الوطنية، تم الاستحواذ على مدينة الجزائر وسقطت الادارة المحلية الداخلية في حالة من التفكك، اذ عمت الفوضى في جميع انحاء الإقليم عكستها مظاهر اللصوصية والنهب، فلم تعد الطرق والاشخاص والممتلكات آمنة، كما راحت القبائل تتصارع وتثأر من بعضها البعض، وخلت الاسواق التي لوثها اللصوص وقطاع الطرق، فضلا عن القحط الذي بات يهدد السكان.

ويعود اصل هذه الفوضى إلى الاحقاد والغل اللذين نشأ ضد السلطة التي تعسفت، ممارسة ابتزازات متكررة في حق السكان وخاصة الريفيين منهم. اذ لم يقم القادة، خلال السنوات التي سبقت الاحتلال، بتهيئة شيء للشعب، فالحكام الذين كانوا يعتمدون على قبائل المخزن المسماة بـ"الدواير" بالغرب و"الدايرات" بالشرق قد غضوا النظر عنها،

رغم أنها، فضلا عن سلطتها العسكرية، مارست الظلم اثناء تحصيل الضرائب واعادة النظام.

مع دخول العدو [1]، ثار السكان الذين عاشوا القمع، واراد العديد من الطامعين قيادة الحركة ومحاربة العدو كما بدأ النفوذ يمارس، غير انه لم يوجد رجل يمتلك الخصال المطلوبة أو روح المبادرة والتنظيم من أجل تسيير الجماهير باستثناء رجل واحد اثبت انه في مستوى هذه الأحداث ألا وهو عبد القادر.

خلال فترة الفوضى التي تبعت احتلال مدينة الجزائر، ارسل اشخاص من تلمسان وفدا إلى سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان لإعلان ولائهم فعين قريبه مولاي علي بن سليمان في المدينة كخليفة، ومع احتجاج فرنسا، اضطر السلطان إلى سحب جنود قبائل عوداية وبوخارة كما استدعى الخليفة[2].

بعد اكثر من سنتين من التردد، تخللتها فترات من الاشتباكات مع قوات العدو، اتحدت قبائل الغريس بالغرب الجزائري وهاشم وبني

---

(1) قال لنا ليون روش : "حل عام 1830، وتم الانقلاب على النظام التركي كما ثار المظلومون ضد ظالميهم فحلت الفوضى محل نظام الاتراك الصارم وصار القوي يأكل الضعيف كما قطعت الاتصالات واندلعت الحرب الاهلية في جميع انحاء الجزائر " اثنان وثلاثون سنة عبر الإسلام الجزء الأول الصفحة 46 و47.

(2) احمد ابن خالد النصيري، كتاب الاستقصاء الجزء التاسع، الصفحة 27 و28 و29 دار الكتاب، الدار البيضاء 1956.

عامر والغرابة بمعسكر وقررت مقاومة العدو الذي يهدد منطقة وهران.

3- سيدي محي الدين – المقاومة الاولى

بعد مدينة الجزائر، جاء دور وهران وتم احتلالها من قبل الجنود الفرنسيين في الرابع من شهرجانفي سنة 1831، فقد قام الجنرال بويار بهجمات على المدينة ومضى في تصميمه مستهدفا المناطق الداخلية للبلد.

بات تقدم العدو مقلقا اكثر فأكثر اذ تبعه دمار وحرق لمحاصيل القبائل التي حاولت المقاومة . انتشرت هذه الاخبار كنثار البارود عبر الإقليم الجزائري كله.

كما قامت قبائل معسكر والمناطق المجاورة بجمع مئات من المحاربين، بقيادة سيدي محي الدين بن مصطفى بن محمد بن احمد بن مختار والد عبد القادر، وهو وجيه جليل تحترمه جميع القبائل كما كان قائدا لاحدى الزاويا ورجلا فضيلا يستدعى لذات البين كلما ظهر شقاق بين القبائل، فحتى باي وهران استشاره في القضايا السياسية الحساسة التي لا يستطيع تسويتها بنفسه ،فوجهة نظره كانت دائما تؤخذ بعين الاعتبار.

في عام 1827، كان سيدي محي الدين بن مصطفى بن محمد بن احمد بن مختار شيخا ثريا ذا سيرة حسنة وايمان ثابث، كما كانت زاويته واد الحمام قبلة الضيوف أو الاخوان والمسافرين وعابري السبيل والبدويين الفقراء والطلبة، الذين وجدوا بها وجبات تسد جوعهم، والتحق الطلبة كداخليين بهذه المؤسسة لمزاولة دراستهم. أما سيدي محي الدين، فاعتاد كل سنة ان يوزع 500 سعة حبوب على العائلات الفقيرة، وهو ما يعادل تقريبا 800 قنطارا من البذور اضافة إلى رؤوس الغنم والنقود.

في الزوايا، كانت تلقن العلوم الاسلامية طوال السنة، كما يثقف الطلبة في مجال الاخلاق الاسلامية والتقوى والخصال العالية تحت رعاية بطرك مسن يكون قدوة للكرم وسماحة الروح والصفاء في انتهاج طريق الله.

تمتع السي محي الدين بسمعة جد حسنة في جميع قبائل وهران بل حتى في القبائل الاخرى ولقد عزز هذه السمعة خصاله المعنوية واصله الشريف، وهو ما دفع بالقبائل إلى ان تأتي من بعيد حتى تستفيد من خبرته أو تشكو له نزاعاتها أو تطلب منه النجدة.

اما عبد القادر فهو احد ابنائه الأواسط، ولد في الخامس عشر رجب 1223 الموافق للسادس من سبتمبر1808 من لالة زهرة بنت عمر بن

دوبة، اما مسقط رأسه فهو دوار القطنة الواقعة على بعد عشرين كيلومتر من الجنوب الغربي لمعسكر على مشارف واد الحمام. لقد ترعرع في وسط التقوى والاستقامة والطيبة وتميز بالذكاء اليقظ والخيال الأدبي وروح الفروسية. مع بلوغه سن الرابعة عشر، ارسله ابوه إلى وهران لإتمام دراسته، تميز بسيرته الحسنة والتقوى والفصاحة المقنعة، غير ان انحلال الاداب في هذه المدينة و الظلم جعله يثور ويطلب من ابيه الإذن بالعودة إلى عين الحمام.

عام 1827، ثار قائد زاوية عين ماضي محمد التيجاني ضد السلطة المركزية حيث استحوذ على معسكر التي يسيطر عليها جنود اتراك. لكن هذا المتمرد قتل فيما بعد، كما غادر شقيق سيدي محي الدين علي أبو طالب المتهم بالتواطؤ البلد. وكان سيدي محي الدين الذي اثار حيرة باي وهران حسان بسبب شهرته المتزايدة محل مراقبة هذا الآخير فقرر القيام برحلة حج من أجل ابعاد الشبهة التي كانت عواقبها معروفة عند الجميع.

ان رحيل سيدي علي ابو طالب وحذر الباي جعل سيدي محي الدين يسافر إلى البقاع المقدسة بصحبة عبد القادر، ولكن لماذا اختار عبد القادر من بين جميع أبنائه ؟

شاعت اسطورة بين القبائل تنبئ ان شابا من القطنة، ابن الزهرة سيعين سلطانا من قبل العرب، فقرر سيدي محي الدين اصطحاب ابنه معه من أجل حمايته من الأتراك.

توقف الحاجان بالقاهرة حيث لبثا شهرين وبدا الشاب عبد القادر، المتمع بحدة الملاحظة، على وعي بالدور الذي سيلعبه في يوم من الأيام، لقد اظهر دوما اهتمامه بمؤسسات الدولة وفضولا شديدا حيال ادنى شيء متعلق بالإدارة، كما كان منبهرا بشهرة خديوي مصر محمد علي المعروف بصرامته وحزمه وسلطته وتنظيمه المحكم لإدارته، وبما ان هذا قد اثر فيه فكان من الضروري الاقتباس منه وقت تأسيس دولته.

بعد رحلة الحج إلى البقاع المقدسة، اتجه المسافران نحو بغداد لزيارة ضريح مولاي عبد القادر الجيلالي. وفي السنة الموالية، جددا سفرهما إلى البقاع المقدسة حيث علم سيدي محي الدين بأخبار هذا البلد من بينها ان اخاه قد عاد إلى ضيعته وهو ما دفع بالحاجان إلى اتخاذ قرار العودة إلى الجزائر بحرا من دون خشية السلطات الجزائرية.

استقبل المسافران في جو من الحماس والفرحة بل حتى الاجلال، فقد جاء العرب من كل حدب وصوب من أجل تهنئتهما بالعودة الميمونة، فشهرة سيدي محي الدين ما فتئت وان تصاعدت خلال فترة غيابه . غير ان خبرته جعلته يتخذ قرار العيش في سرية وحذر من أجل عدم اثارة السلطات التركية كما فرض ذلك على افراد عائلته وواصل اداء معروفه وتقديم علومه للمخلصين غير ان التعليم ومنفعة الناس شكلا مصدر قلقه الوحيد.

عام 1829، قام سيدي محي الدين بتزويج سيدي عبد القادر بقريبته خيرة ابنة سيدي علي ابو طالب.

أما في عام 1830، وبعد احتلال مدينة الجزائر، شعر باي وهران حسان بمقربة استيلاء الفرنسيين على المدينة برا من جهة، وبعدم امكانه الاعتماد على المخزن للدفاع عن المدينة من جهة أخرى، كما فقد هذا الاخير سلطته بين العرب لانعدام شعبيته في أوساطهم اذ كانوا ساخطين من طغيان الجندية العربية والتركية، فادرك الباي بأنه لا يمكنه الصمود في وجه الفرنسيين اذا ما اعتمد على جنود المخزن، كما ادرك بأن العرب مستعدون لمواجهته ومن ثم التصدي للفرنسيين، فحياته في خطر اذن من الجهتين ويوجد مجال للاستسلام للفرنسيين، فوردت في ذهنه فكرة الالتفاف مع العرب عن طريق سيدي محي الدين، فاستدعاه سريا وطلب منه اللجوء إلى القطنة ومواجهة العدو بالاعتماد على العرب الخاضعين له، طلب محي الدين مهلة للتفكير وللرجوع إلى ارائهم.

بالعودة إلى القطنة، استدعى شيوخ عائلته وعقد اجتماعا معهم حضره عبد القادر رغم صغر سنه (اذ كان عمره اثنان وعشرون سنة). بعد التشاور، اعتبر اعضاء المجلس والبطرك انه بإمكانهم حماية الباي وتوحيد جهودهم معه من أجل مقاومة العدو، غير ان عبد القادر، الذي

كان اخر من اخذ الكلمة بحكم صغر سنه، فقد كان له رأي مغاير عن المستشارين، اذ اعتبر ان السمعة السيئة للباي لا تضمن حماية قبائل الغريس له فقد كان السبب وراء الكراهية بين العرب الذين لن يمتنعوا عن الاخذ بثأرهم بل حتى قتله، فذكريات طغيانه وابتزازه مازالت حية بذاكرتهم، كما سيكون من الصعب على الزاوية التحكم في ردة فعلهم، بالنتيجة ستفقد مكانتها واعتبارها بين القبائل وهو ما سيشكل خزيا للعائلة ولقبائل الغريس تجاه القبائل الاخرى. واضاف عبد القادر ان حماية الباي حسن يعني الموافقة على اعماله الذميمة المعارضة للإسلام فهي حماية لشخص كان وراء جرائم بقيت إلى حد الان بدون عقاب[1].

اعتذر عبد القادر، ذلك الشاب المؤدب، عن مخالفة رأيه لأراء من هم اكبر منه سنا من المتعلمين المتمتعين بخبرة واسعة مقارنة به.

لقد كانت حجته مقنعة لدرجة ان الجميع اتفقوا على رأيه النبيه، فأرسل رسالة إلى الباي تنص على انه من غير الممكن لقبائل الغريس ان تقدم له المعونة. بعدها، سلم حسن وهران إلى الجنرال دامريمون.

---

(1) عام 1827، ولما تمردت قبائل هاشم بقيادة محمد التيجاني، توجه الباي وقضى غدرا على احد عشر وجيها من وجهاء بني هاشم.

في الثامن عشر ديسمبر 1830، وقعت اتفاقية فرنسية تونسية بين كلوزال ومبعوثين تونسيين يمنح فيها بايلك قسنطينة إلى سيدي مصطفى شقيق باي تونس مقابل دفع جزية تقدر بمليون إلى فرنسا المعترف بها كدولة سيدة من قبل باي تونس، كما انتقل بايلك وهران إلى سيدي احمد في الرابع فيفري 1831 غير ان هذه الاتفاقيات ألغيت وانزل الجنرال بويار جنودا بوهران المكلف بحمايتها وذلك في التاسع عشر سبتمبر 1831.

من جهة أخرى، فان رفض قبائل الغريس استقبال باي وهران لم يمنعهم من تجنيد قوات من قناصي البنادق ومحاربة العدو بوهران، اذ قاومت هذه القبائل طيلة شهر كامل وعادت بعدها إلى معسكر من أجل استعادة قواها، لقد الحقت خسائر محسوسة بجنود الجنرال بويار غير ان غياب قائد تمت توليته قانونا شكّل الحلقة الاضعف.

4- مبايعة الأمير عبد القادر

في اكتوبر 1831، توجهت إلى الخصيبية مجموعة من الوجهاء والعلماء والقانونيين العرب والبربر من قبائل وهران للقاء سيدي محي الدين بن مصطفى والتماس قيادته للمقاومة ضد المستعمر.

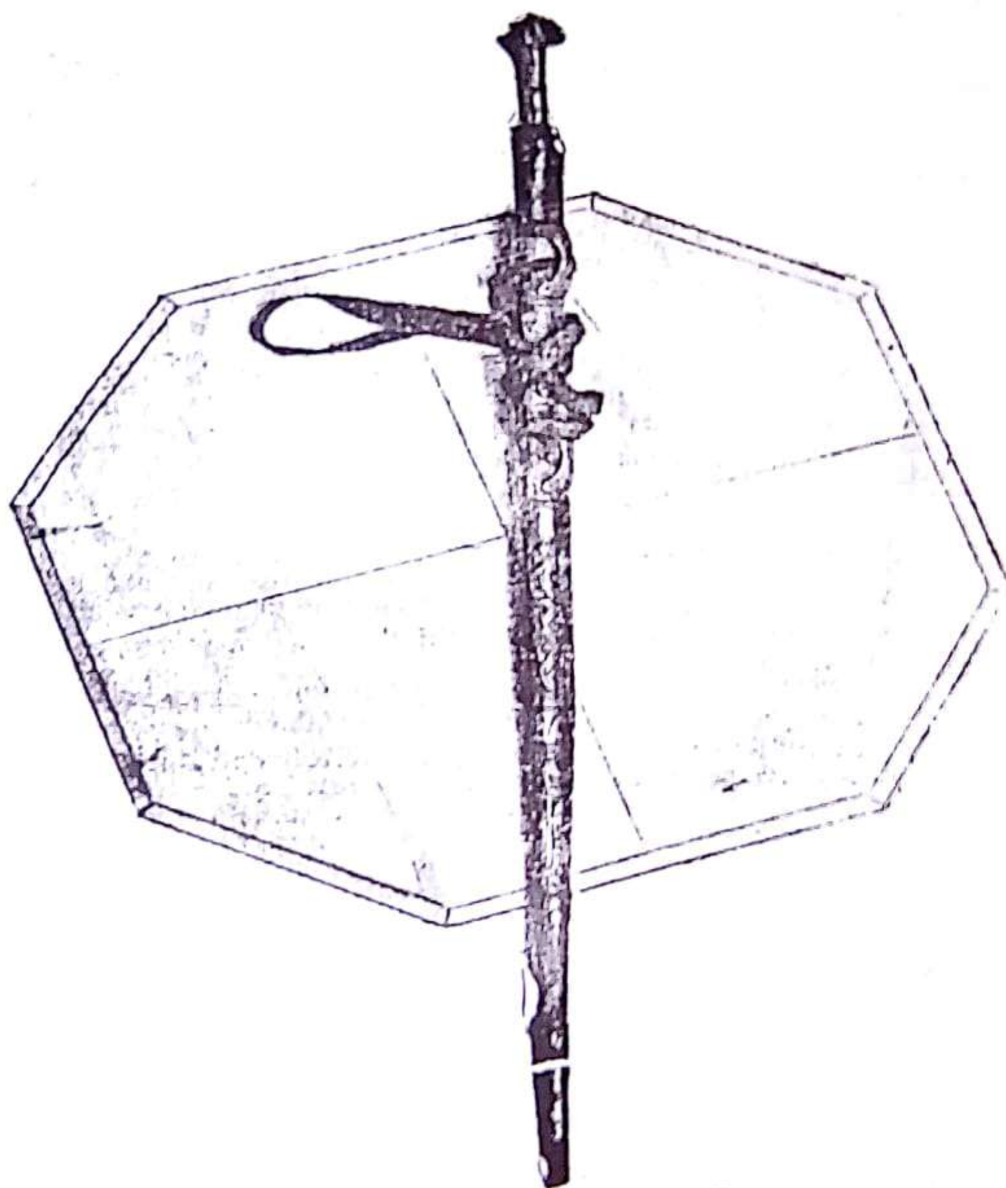
حدث هذا في الوقت الذي ذكر سلطان المغرب مولاي علي بإصرار فرنسا وربما اشخاص من تلمسان ضاقوا ذرعا بتصرفات الجنود المغاربة عوداية وبوخارة[1] لم ينكر محي الدين ان عرضا كهذا لا يعطي مجالا للرفض غير انه ذكر حالته الصحية التي لا تسمح له بتولي مسؤولية ثقيلة كهذه وبما انه لم يتخذ قرارا بشأن ذلك فقد طلب منه الوجهاء تعيين ابنه سيدي عبد القادر كقائد للمقاومة، فقد لاحظوا اندفاعه وشجاعته اثناء الحرب التي خاضها بعين الكرمة في صفوف المسلمين ضد الجنرال بويار، وكذا الخسائر التي الحقها به في معركة خنق النطاح بمساعدة الجنود الذين قادهم والده.

كما رأوه وهو يخترق صفوف العدو ويعرقلهم وسط دهشة الفرنسيين، في عدة معارك على غرار معركة برج رأس العين الواقع على بعد كيلومترات من غرب وهران، اذ قاتل بجانب مفرزات عسكرية معادية لجنود الجنرال الفرنسي وفقد جواده في حومة القتال كما رأوه يتجول في اوساط المجاهدين ويمنحهم الذخائر وينمي شجاعتهم، كل هذا تحت طلقات العدو التي رآها تنسحب خلسة ليلا، كما حاصر عبد القادر وهران مدة شهر.

---

(1) وفرت قبيلة عوداية جنودا لخدمة السلاطين المغاربة، واستقرت في مناطق فاس ومراكش، لقد تمردت السوقة العسكرية التي ارسلت الى تلمسان مع عودتها الى فاس وارسل عوداية فاس الى الرباط اما قبائل بوخارة فقد شكلوا فيلقا من السود.

فرغم صغر سنه، إلا ان المبعوثين اصروا على توليه القيادة رغم ان العادات العائلية كانت تطبق بصرامة في تلك المرحلة، اذ اعتبر تقدم العمر أو العادات الابوية ضماناً لحكمة ورجاحة شيخ كبير حتى يمارس السلطة.



EPEE DE L'EMIR ABD-EL-KADER

سيف الامير

غير ان الوجهاء اعتبروا نضج عبد القادر واستقامته ضمانا يعكس قائدا تتوفر فيه الشروط التي يمليها التشريع القرآني، فاختيارهم له وموافقتهم على طاعته لم يكن صدفة بل كان عن رؤية وقناعة بأنه القائد المتمتع بالصفات التي يفرضها القانون الدستوري والاسلامي وهي الاسلام والحرية والبلوغ والسيرة الحسنة وروح العدل والعلم والإدراك وصفاء العقل والقوة البدنية والشجاعة ونبل السلالة[1].

لم يوافق محي الدين على هذا الطلب باعتبار ان ابنه مازال شابا على ممارسة سلطة كهذه كما لا يمكنه تفضيله عن بقية أبنائه، غير ان الوجهاء اصروا ودفعوا بشيخ من سيدي العرش تجاوز عمره المائة سنة من أجل إجباره فما كان على محي الدين إلا الاذعان وعرض الفكرة على ابنه الذي لم تخطر بباله فكرة قيادة دولة في عز شبابه.

انتشر الخبر بسرعة لا يعلم سرها إلا العرب بفضل اشارات اصطلاحية بالأيادي، وازدادت الحشود بقبيلة الغريس مكونة تجمعا للعرب والبربر على ضفاف واد فروخة تحت شجرة الدردار الظليلة، وهو المكان الذي اختاره الوجهاء لعقد اجتماعاتهم.

جلس الأمير مقابل الشجرة مبديا ملامح الجدية والرصانة بشكل لا يعكس سنه، كما جاء ابوه سيدي محي الدين رفقة اولاده واقربائه

(1) ماواردي الانظمة الحكومية، الصفحة 4، القاهرة 1909

وحاشيته فكان اول شخص ينحني له ويعبر له عن اخلاصه وخضوعه، كما تضرع للأمير ومنحه لقب ناصر الدين، تقدم بعدها عمه وجده علي ابي طالب وبعدها اخوته واقربائه ومن ثم الوجهاء والعلماء وقادة القبائل.

وتابع الرجال الحضور للمآثر الإحتفالية الأولى وقاموا بأداء يمين الولاء بحسب مراكزهم.

اعطى الجزائريون الطابع الديني لهذه المناسبة قياسا على يمين الطاعة "بيعة رضوان "الذي اداه المسلمون إلى الرسول ﷺ تحت الشجرة، قال الله تعالى :

" لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة "

وبعد حلول هذه المناسبة الذي بدا عليها طابع العجلة، توجه الأمير إلى معسكر مرفقا بأكثر من 15000 فارس "القوم" جاؤوا من القبائل المجاورة كما قدم فوج من اكثر من 10000 فارس لمقابلة سلطان الخصيبية الواقعة على مسافة نصف ساعة مشيا من معسكر.

و بعد تنصيبه، دخل الأمير إلى معسكر بصفته عاهلا لأول مرة فاستقر بقصر البايات كما واصل استقبال الوفود التي جاءت للتعبير عن طاعتها،

وحاشيته فكان اول شخص ينحني له ويعبر له عن اخلاصه وخضوعه، كما تضرع للأمير ومنحه لقب ناصر الدين، تقدم بعدها عمه وجده علي ابي طالب وبعدها اخوته واقربائه ومن ثم الوجهاء والعلماء وقادة القبائل.

وتابع الرجال الحضور للمآثر الإحتفالية الأولى وقاموا بأداء يمين الولاء بحسب مراكزهم.

اعطى الجزائريون الطابع الديني لهذه المناسبة قياسا على يمين الطاعة "بيعة رضوان "الذي اداه المسلمون إلى الرسول ﷺ تحت الشجرة، قال الله تعالى :

" لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة "

وبعد حلول هذه المناسبة الذي بدا عليها طابع العجلة، توجه الأمير إلى معسكر مرفقا بأكثر من 15000 فارس "القوم" جاؤوا من القبائل المجاورة كما قدم فوج من اكثر من 10000 فارس لمقابلة سلطان الخصيبية الواقعة على مسافة نصف ساعة مشيا من معسكر.

و بعد تنصيبه، دخل الأمير إلى معسكر بصفته عاهلا لأول مرة فاستقر بقصر البايات كما واصل استقبال الوفود التي جاءت للتعبير عن طاعتها،

ومن ثم استقر في مقره وطلب من زوجته ان ترافقه في تنقلاته وتتحمل معه الاعباء والمخاطر، كما كرس وقته من الان فصاعدا لتولي مسؤولية ثقيلة. وفي جامع معسكر، القى اول خطاب عرض فيه برنامجه المتمثل في تقويم الحالة السياسية ووقف الفوضى واعلان حرب مقدسة ضد العدو وتطبيق التشريع القرآني بحذافيره اذ قال بهذا الصدد :

"سأحكم بكتاب القرآن بل سأفصد بنفسي عنق اخي اذا ما امرني الشرع "، ان هذه المقولات قد نالت اعجاب المساعدين المتعطشين إلى عودة النظام بهذا البلد، عيّن الأمير بجانبه اشخاصا صالحين من الشرفاء والزوايا والمخلصين الإخوان الذين تشعبوا من جميع انحاء الإقليم الجزائري ومن المغرب.

ثم عقد اجتماعا مع علماء الغريس اذ دونوا نص المبايعة الذي كتبه سيدي محمد بن عبد القادر بن يمينة بخط يده، تضمن فحوى الميثاق بعد عبارات الإطراء ما يلي :

"في عصرنا هذا طغى الظلم وحجبت الحقيقة إلى درجة سمحت للخائنين اعداء الله بالاستيلاء على قسم كبير من الاقاليم المسلمة، لقد ساد الشقاق وعمت الفوضى فلم يكن بدا من محاربتهم لهؤلاء غير انه لم يكن هناك قائد يوجههم، فلجؤوا إلى الله تعالى وإلتمسوا عونه عسى ان

يجدوا شخصا قادرا على تولي زمام توجيه دينهم، فما كان لهم إلا اللجوء إلى سيدي محي الدين بن مصطفي فهو حسبهم الوحيد القادر على ارشاد دينهم لما يجمعه من الحكمة والسلطة والخصال الحسنة والتأييد الواسع"

"توسلوا إليه حتى يكون قائدهم الذي يولون له الطاعة والخضوع، ولكنه رفض عرضهم بحجة تقدم سنه، اصروا عليه وكرروا طلبهم فأدرك انه لا يمكنه الصمود طويلا امام اصرارهم فعليه اذن اعادة النظر في مركزه. في الوقت نفسه، اقترب منه عالم محترم وفضيل من قبيلة الغريس وقال له : "ان الاشخاص الذين يحبهم الله قرروا تعيين ابنك عبد القادر لنصرة الدين".

رأى محي الدين في ابنه الاستعداد لتنفيذ هذا الالتماس فوافق على توليته نظرا لقوة تفكيره وحزمه وشجاعته وفطنته، وهي خصال مطلوبة لتنفيذ وصايا الله.

اجتمع الرجال الحكماء وادوا له يمين المبايعة، لقد عينوه رغما عنه بعد ان التمسوا ولمدة سنتين قيادة والده متضرعين إلى الله ورسوله بسلامته، وافق محي الدين على تعيين عبد القادر نظرا لإعجاب الاعيان به وبهدف وقف الظلم والفوضى .

حضر حفل التولية كل من رجال غريس وهاشم والشراقة والغرابة وبني عباس أولاد خالد أولاد ابراهيم والحساسنة والعوف والجعافرة واشخاص من البرج والشغران أولاد السي دحو أولاد السي احمد بن علي والزلامطة والمغراوة والخلوية والمشاريف وواد الحمام، كما حضر علماء واعيان من السي لعرج وسيد محمد بن حوى وبن ايخلف واخوانهم وسيدي محمد بن الثعالبي وسيدي عبد الرحمن بن حسان الدحاوي واخوانهم وسيد محمد بن عبد الله بن الشيخ المشرفي واقربائهم وكل اولاد سيد احمد بن علي وأخيرا كل علامة الغريس...

حرر في الثالث رجب 1248 الموافق في السابع والعشرين نوفمبر 1832[1] وفد العديد من العلماء والمتعلمين من مختلف مناطق بايلك وهران والتيطري للتعبير عن خضوعهم وتحرير العقد بأيديهم.

بعد هذا الحفل، طلب الأمير من العلماء ان يراسلوا جميع الاعيان والعلماء حتى يحرروا عقد الطاعة، فتم تحرير رسالة دورية ارسلت فورا إلى القبائل المجاورة.

ثم كتب الأمير باسمه عدة رسائل وجهها مباشرة إلى القبائل العربية والبربرية كي تعبر عن رضاها، فما انفكت الوفود تلتحق بمعسكر.

(1) تحفة الزائر الجزء الاول الصفحة 98 و99

انعقدت مجددا جمعية عامة، حيث تم التلفظ بقسم الولاية ثانية كما مثلت قبائل من ضواحي وهران ومعسكر ومستغانم إلى جانب قبائل مناطق الشلف ومليانة وتم تحرير وتلاوة عقد على الحشود.

وكانت هذه القبائل، من معسكر وايغيل ايزان ووهران ومستغانم والأصنام ومليانة والمدية وقالة هوارة وضواحيها وبني شغران وبني غدو وسغرارة والغريس والعطاف الشرقية والسنجاس وبني كسير ومرابطي مجاجة وسبت بني خويدان وبني عباس والكرمة والمهل وفليتة والمكاحلية والبرجية والدواير والزمايل والغرابة والجعافرة والحساسنة وبني خالد وبني ابراهيم أولاد شريف الجنوبية أولاد لقرض والصدامة والخلافة، حاضرة في الحفل الذي اقيم في الثالث عشر رمضان 1248 الموافق للرابع فيفري 1833. هكذا، منحت صفة الأمير أو السلطان إلى القائد الجديد لمقاومة جزائرية دخلت التاريخ البطولي لبلدنا.

5- وصف الأمير

يسميه اقربائه عادة بسيدي الحاج عبد القادر، تمت توليته بحسب الاصول وانطلق في كفاحه الضروس ضد العدو الذي استقر بقوة في التراب الوطني، بلغ عمره الاربع والعشرين سنة وترك لحيته السوداء

الكثة تنمو، على بشرة بيضاء تميل إلى السمرة، كان هادئ النظر، متوسط القامة، عيونه الزرقاء الداكنة تعكس حدة رؤيته ونعومته ورهافة حسه وطيبة قلبه، يغضب عادة من دون كراهية كما لا يتخذ قرارات في وقت ضيق دون تفكير.

لقد ترك لنا التاريخ وصفا موضوعيا قام به الكهنوي القس سوشي اثناء زيارته له عام 1841، حيث كلفه اسقف مدينة الجزائر بأن يطلب من الأمير تحرير السجناء الفرنسيين الذين اعتقلهم، وروى لنا سوشي ما يلي :

بمجرد أن لمحنا عبد القادر، ارسل لنا كاتبه الذي سلمته الرسائل التي سيسلمها إلى سيده، كما اخبرته بأني في انتظار اوامر السلطان حتى اتقدم إليه، نفذت اوامره بلمح البصر فبعد دقيقتين، أخبرني الكاتب نفسه أن السلطان بانتظاري، لقد كان في المكان نفسه الذي لمحته فيه عند قدومي، تقدمت إليه مع مترجمي فلم يقم بل حياني بأدب وأشار الي بالجلوس في زربية متواضعة فرشت أمامه، كان يرتدي لباس شيخ متواضع، حائك وعمامة من جلد الجمل تحيط برأسه وبرنسا أبيضا . يحيط بحزامه سلاح وخنجر ومسدس، كما يسانده جهاز حربي ومستشارون وحاشية مثل تلك التي رأيتها مع خليفته بن علال خلال تبادل الاسرى في الأول.

"يعكس أول مرأى لعبد القادر، قائد الحرب المقدسة القوي، هيئة اسقف فرنسا المقدس (اعتذر عن المقارنة). عمره تقريبا خمسة وثلاثون سنة[1]، متوسط القامة، تبدو على وجهه ملامح الجلالة، ذو بشرة بيضاء تميل إلى الاصفرار رغم التسفح التي يكتسيها جراء اشعة الشمس، وجهه بيضاوي الشكل يحمل قسمات منتظمة، لحيته فاتحة وكستنائية قاتمة، عيونه رمادية مزرقة جميلة ومعبرة تعكس نظرة متأملة وخجولة، غير انها تتطاير شررا حين يتكلم عن الدين خاصة، كان نظره ينخفض ويعلو نحو السماء بطريقة تدعو إلى الالهام. وما يدعو إلى الدهشة، هو انه يضحك بطيبة قلب خلال المحادثات العادية، كما تظهر عليه حشمته من مركزه ورفعته، وبدت لي قدرته وحاجته إلى صداقة حميمة........"[2]

من أجل الوصول إلى الحقيقة، وبهدف تقليص المعلومات المقدمة حول الوصف الفيزيائي والمعنوي للأمير عبد القادر، نقلنا ما كتبه ليون روش حوله[3].

للأسف لا نملك إلا مراجع أجنبية ولم يقدم الكتاب العرب بما فيهم سيدي محمد سعيد ابن الأمير عبد القادر وصاحب كتاب تحفة الزائر،

---

(1) بلغ عمره ثلاثة وثلاثين سنة.
(2) م.لامونيار تاريخ الجزائر المصور، الصفحات 196 و197
(3) اثنان وثلاثون سنة عبر الإسلام الجزء الأول الصفحات 152 و153

وصفا كاملا للأمير إلا ان الاحداث الدقيقة والمتطابقة التي قدمها المؤرخون الفرنسيون تؤكد وبدون ادنى شك المعطيات المتوفرة لدينا[4].



صورة الامير عبد القادر 32سنة

PORTRAIT PEINT DE L'EMIR A 32 ANS

(4) الوصف المقدم من قبل الجنرال ب.ازان، عبد القادر، من الصفحة 121 الى الصفحة 127

يقول ليون روش في الأخير : "رأيت الأمير عبد القادر وانا اكتب لك الان على وقع الجمال الذي احدثه في نفسي بطل الإسلام الذي لا اجد الكلمات للتعبير عنه.

لقد شيدت خيمة كبيرة وسط المعسكر، وسدت الجماهير المدخل فتم فسح الطريق لنا وسط الحشود، دخلنا الخيمة فلمحناه لوحده في ركن الخيمة مقابل المدخل، رفعت نظري نحوه، ظننت اني احلم حين نظر الي بعيونه الزرقاء الجميلة اللماعة وسط هذه الرطوبة واشفاره الطويلة، إن نظراته تعكس لمعانا وعذوبة. لاحظ الأمير اعجابي به واشار الي بالتربع بالقرب منه فلحظته هنا بكل اهتمام.

تسود الصفرة السمراء بشرته البيضاء، كما ان جبهته عريضة ومرتفعة، حاجباه سوداوان ودقيقان ومقوسان يعلوان عينيه الزرقاوين الواسعتين التي أذهلتاني، انفه دقيق واقنى نوعا ما، شفتاه هزيلتان وغير مضمومتان، لحيته سوداء ناعمة تحيط بوجهه البيضاوي المعبر، يعكس الوشام الموضوع بين حاجبيه صفاء جبهته، لون يده الهزيلة الصغيرة ابيض بشكل ملحوظ تطوف بها عروق، تنتهي اصابعه الخيطية الطويلة باظافر وردية مقلمة بشكل جيد، لا تميز رجله عن احدى يديه المستندة عليها من البياض.

لا تتجاوز قامته خمسة اقدام غير ان قوته تظهر من جهازه العضلي، نحيط برأسه عمامة صغيرة من جلد الجمل ويرتدي حائكا من الصوف الرقيق الابيض وقميصا صوفيا من اللون نفسه، يغطي الحائك، الذي يحيط برأسه أولا، جسمه كما ارتدى برنسا ابيض يغطيه برنس بني . يمسك دوما بسبحة سوداء بيده اليمنى يسّبح بها بسرعة كما يردد بشفتيه الكلمات المكرسة للصلاة. ان هذا المزيج من الطاقة الحربية والزهد نشر على محياه جمالا لا مثيل له.

6- سيرة الأمير

لم يكن للأمير غير زوجة واحدة وهي قريبته خيرة ابنة سيدي علي ابو طالب، التي استشارها حين قرر قيادة المقاومة من أجل معرفة ما اذا ارادت اللحاق به أو البقاء في القطنة، تزوج لاحقا بامرأتين وهما عيشة ومباركة وانجبتا الزوجتان ثلاثة عشرة ولدا وستة بنات.

كما أنه لم يمتلك شيئا عن طريق الشراء اذ ان الارض الوحيدة التي امتلكها، ورثها عن أبيه وتبلغ مساحتها حوالي مائة هكتار اي أنها قطعة يمكن ان تحرث بخمسة ثيران خلال موسم الزراعة، كما امتلك قطيعا من الغنم وبعض الابقار الحلوب.

تمثل مصدر غذائه الوحيد في ما تنتجه ممتلكاته كما اكرم ضيوفه على نفقاته الخاصة من دون الاقتراب من الخزينة العامة، حيكت ملابسه الشخصية وملابس افراد عائلته من صوف غنمه وبعض الجمال التي يمتلكها، وتولت حياكة ثيابه امه وزوجاته وسيدات منزله. ان الحليب الذي يستهلكه له ولضيوفه حلب من بقراته ومعزه ونعجاته.

سواء كان في محل اقامته أو متنقلا أو في الريف، فقد كان غذاءه من منتجاته الشخصية.

هذا الموجز عن سيرته يفسر القوة المتألقة التي مارسها على شعبه لأكثر من خمسة عشر سنة بغض النظر عن الصعوبات التي وقف ورائها العدو والقبائل المعادية.

7- تنظيم الدولة الجديدة

فرض الأمير عبد القادر نفسه على القبائل حيث قبلت الخضوع له بفضل الروح السياسية العالية والايمان الجياش اللذين يتحلى بهما.

ففضلا عن سلطته الانتخابية الواسعة، فقد اعاد تنظيم الاقاليم التي تولى قيادتها رأسا على عقب.

وارتكزت سلطته، المنسجمة مع السلطة الروحية، على مبادئ القرآن التي تطبق بالحرف الواحد.

كما ستدخل الظروف التي سادت اثناء توليه للسلطة مبادئ خاصة على طريقته في الحكم .

ان السلطة التي يتمتع بها لم تكن مبنية على حق الوراثة أو القوانين الدستورية المعمول بها في ذلك الزمن مثلما جرى الحال خلال تعيين الدايات، بل كانت اعتمدت على اختيار القبائل بالإجماع وفقا للأصول الواجبة في الاوقات الحرجة، كما املتها ضرورة الدفاع الذاتي والصراع الهجومي ضد عدو خطير من ناحية القوة والدين.

التزم الأمير بان يدون في عقد تنصيبه ان موافقته على قيادة المقاومة تمت تحت اصرار الوجهاء مثلما ورد سابقا.

و فرض الرجال الذين اختاروا الأمير اتباع مباديء القرآن بالحرف اما بطريقة حرة، أو منتظمة إلى جانب التصرف بالصرامة التامة التي يمليها الكتاب الموحى به اثناء ادارة قضايا الدولة، وهذه هي الخصلة التي تكلم بشأنها ليون روش في كاتبه الخاص، اذ قال ما يلي :

"يتمتع الماريشال (بيجو) بالعبقرية العسكرية وبالخصال كلها التي يمكن ان تتوفر في قبطان حق، أما الأمير عبد القادر فيتميز بعناد وطاقة لا يقهران يعكسان بطلا ذا ايمان وروح وطنية " (1)

كما اضاف : " ارجو ان يؤيد التاريخ الحكم الذي اصدرته على العدو المشهور الماريشال بيجو، ووضع الأمير عبد القادر في خانة الابطال الذين حاربوا من أجل ان ينال الرجال القداسة والايمان والوطن"(2).

كان من الواجب اذن على الأمير عبد القادر تنظيم الدولة من الناحية الداخلية (المدنية) والخارجية (العسكرية)، اذ كان عليه خلق علاقات مع البلدان الاجنبية بهدف شراء الاسلحة واقامة علاقات اقتصادية. كما كانت اقامته الوجيزة بالقاهرة، خلال سفره إلى مكة، مفيدة له كما أفادته وبالشكل الكبير، ملاحظاته وقوة ذاكرته وروح التكيف لديه. علاوة على ذلك، فقد ادرك ان صمود دولته وقت الحرب مرتبط باستقرار المؤسسات فإن لم يتحقق السلم والنظام ولم تطعه رعاياه، فانه لن يستطيع مواجهة عدو شرس وقوي إذ لطالما كانت

(1) ل.روش الجزء الثاني الصفحة 442
(2) ل.روش الجزء الثاني الصفحة 450

غايته، طوال فترة كفاحه تأسيس مؤسسات مدنية وعسكرية متينة وفرض الاستقامة والعدل على الجماهير.

انه لم يتهاون ولا مرة في تعزيز الامة الجزائرية مع التمسك بالمصالح المادية للقبائل. كما كان شرفا عظيما له ان يعيد تنظيم دولة عاث فيها الفساد والفوضى، هذا ما جعله يوافق على قوانين تتكيف مع وضع الحرب الذي كان الجزائريون يجهلونه إلى غاية ذلك الوقت.

كان الأمير عبد القادر يعرف شعبه اشد المعرفة اذ كان على دراية بخصاله ونقاط ضعفه، كما طبق سياسة العقاب عن دراية واذا لزم الحال بطريقة صارمة لا بل جد قاسية قد تصل إلى حد تطبيق القصاص. كما كان يعلم كيف يراعي قابلية تأثر رجاله الأبيين والفروسيين. اذ بإمكانه ان يغض البصر عن بعض الافعال الخطيرة التي يصفح عنها لاعتبارات متعلقة بالدولة.

8- ادارة الأمير عبد القادر

كانت هذه الادارة مرتكزة على المبادئ الاساسية التالية:

1) سلطة صارمة ومطلقة تلقي بثقلها على جميع النواحي ولكنها مقبولة طوعا حسب شهادة المؤرخين الفرنسيين انفسهم.

2) الدين الذي كان ركيزة شعب ذي ايمان ثابت وعقيدة راسخة، شعب يقبل بكل حكم نابع من قول الله تعالى.

3) المصلحة العامة للجماعة الواجب عليها الحفاظ على التلاحم بين الشعوب التي شتتها الصراعات القبلية والأخذ بالثأر.

اضافة إلى هذه الركائز المؤسساتية، أسس الأمير عبد القادر لجهاز اداري وقضائي بسيط جدا وجاهز للتنفيذ منذ القرار الذي اتخذه شيخ الفرقة المتواضع إلى غاية الحكم الذي نطق به الأمير.

استمرت هذه الادارة الصارمة مدة خمس عشر سنة رغم ما قام به العدو من اعمال قاسية على المستوى المادي والمعنوي والمالي اضافة إلى الدسائس الدنيئة والتنقيب النفسي الذي نفذه على نطاق واسع.

كان الاجراء بسيطا وسريعا وعادلا، ارتكز اما على العرف الجاري، المتوافق بدوره مع ما جاء به القرآن وبالعقل السليم، أوعلى المصلحة العامة والضرورات. كما ازاح الأمير كل وسيط يمكنه تعقيد الجهاز الاداري والقضائي وخلق البيعية.

9- السلطة المركزية

منذ مبايعته التي اعلنتها قبائل من الغريس ووهران وجزء من العاصمة إلى غاية الخواصر الغربية لجبال الونشريس، اسس الأمير ديوانا

يجسد الحكومة المركزية التي يقع مقرها الرئيسي بمعسكر ويتغير وفقا لظروف الحرب.

عين الأمير على رأس الديوان، وزيرا اولا يسمى الوزير أو الخوجة الكبير، وسلمت هذه المهمة لأول مرة إلى سيدي محمد بن العريبي الذي تولى مساعدته ثلاثة كتاب دولة فرعيين تمثلوا في :

سيدي احمد بن علي ابو طالب[1].

سيدي الحاج مصطفى بن تامي

سيدي الحاج محمد الخروبي[2].

كما انشأ الأمير وظيفة الحاجب التي سلمها إلى محمد بن علي رحاوي.

و اسس ايضا الخزينة العامة والخزينة الخاصة التي اولاها إلى الحاج جيلالي بن فريحة ومحمد بن فخة[3] المسميان بالخزندار الكبير والخزندار الصغير.

---

(1) اقربائه الجرمان
(2) كاتب دولة لبايات وهران سابقا، وهو رجل نزيه ومتعلم ومتمتع بخبرة في الشؤون الادارية
(3) انحدر بن فخة من سلالة سوداء كما كان المؤيد الاكثر استقامة واخلاصا لقضية الامير

كما عين الحاج طاهر ابو زيد ككاتب للدولة بالأوقاف، اما الحاج ميلود بن عراش فقد عين كاتبا للدولة في الشؤون الخارجية. كلف هذا الأخير بعد سنتين من تعيينه، بالبحث في الهدنة مع الجنرال دي ميشال في الثامن والعشرين فيفري 1834.

كون الأمير مجلسا للشورى متألفا من احدى عشر عضوا يرأسهم قاضي القضاة، وهي مهمة تولاها سيد احمد بن الهاشمي مراحي.

كما يدرس المجلس ايضا الاستئنافات والصلاحيات المتعلقة بالإبطال المعروضة أمامه كما كان ملما بجميع قضايا الدولة، واسس عام 1834 مساهمة الحرب المسماة بالمعونة اذ لم تكن ضريبة مشروعة، بل ضرورة استوجبتها الحرب.

تولى المجلس الحكم في القضايا الجنائية كما نطق بحكم العقوبة القصوى ضد قاضي ارزيو الاسبق احمد بن طاهر بطيوي، بتهمة الخيانة العظمى(1) و ضد الخونة المتهمين بالجوسسة لصالح العدو.

---

(1) كان استاذ الامير عبد القادر، غير انه في عام 1833، اتهم بإقامة علاقات مع العدو، انتقل الامير الى ارزاو وعزله وقام بنقله الى معسكر، لقد اراد اجباره على اعادة ما استولى عليه عن طريق فرض فدية بحقه الا ان مجلس الشورى، بالحاج من سيدي محي الدين، استعجل اعدامه قبل عودة الامير.

10- المركزية

تميزت ادارة الأمير بالمركزية الواضحة حتى في حالة ضرورة تقسيم المهام بين المسؤولين مع ان هذه اللامركزية الاستثنائية كانت هشة لدرجة انها تشابهت مع السلطة التي يمارسها القائد مباشرة، اذ كان يسوي كل الامور بنفسه بما في ذلك ادق التفاصيل[2].

وفوّض سلطاته إلى الخلفاء المساعدين الفوريين الذين يراقبهم بصرامة ويقترح عليهم احكاما لا تتطلب الانتظار أو القيام بالأفعال التاجيلية المسماة بـ"المراوغة" والتي يعاقب عليها القانون بشدة.

يتحمل الخلفاء مسؤولية افعالهم وتنفيذ الاوامر.

وتنطبق السلطة نفسها على مساعديه ورعيته فالكل كان يخشى العقاب كما سادت سلطة صارمة اذ يقول الأمير بهذا الصدد : " يتلقى الخلفاء اوامري ثم يتلقاها الشيوخ ومن ثم اتلقى التقارير وفق الترتيب نفسه إلى ان تصل الي "[1]

---

(2) قال بيشون بهذا الخصوص : كانت مركزية على اتم وجه ليس لديها ما تحسد عليه تنظيمات مجتمعاتنا الاوروبية، ان هذه النقطة الايجابية الكبيرة قد تمتعت بها هذه الاخيرة التي لم تته وسط التفاصيل والانقسامات اللامتناهية، فقد اعتبر كل خليفة واغا وقائد وشيخ، القائد الوحيد شبه المطلق في مجاله المتعلق بالإدارة الحقة والقوة العسكرية والقضائية، بيشون، عبد القادر، الصفحة 84.

(1) بيشون – عبد القادر الصفحة 83

11- الأعوان

أسس الأمير نظاما اداريا بسيطا وقويا، غير ان مصدر قلقه تمثل في تحقيق العدل واحترام المبادئ الدينية التي التزم بها امام شعبه.

بالإضافة إلى المبادئ التي يطبقها بالحرف الواحد، اختار الأمير رجاله الذين يخدمونه بذكاء كما كانوا محل احترام من قبل السكان.

لقد كانوا رجالا من أصل شريف فالمجتمع الجزائري تميز بالأرستقراطية في ذلك الزمن، ويتم اختيارهم من بين الذين لا يعتب عليهم شيئا ويمتلكون ثروة حتى لا تضطرهم إلى الرشوة، وهم ينتمون عادة إلى العائلات المعروفة باستقامتها وبتربيتها الحسنة وبتقواها.

كانت هذه الخصال بمثابة ضمان لخضوع أو طاعة الجماهير للسلطات واحترام القوانين وتنفيذ الاحكام وتحصيل الضرائب الذي تجاوز حده في مرحلة من مراحل الكفاح وذلك من أجل تغطية تكاليف الحرب. في الواقع، لو لم تولى قائد اخر القيادة لرأى شعبه يرفض دفع المساهمات التي تتجاوز امكانياته لان الحملات التأديبية الفرنسية افقرته، ضف اليها الغرامات الجماعية التي فرضت عليه والحرائق التي

استهدفت المحاصيل والدمار الذي لحق بوسائل النتاج الزراعي والذي تسبب فيه العدو[1].

عانت ادارة الأمير للأسف من نقص في الاطارات الملائمة في جميع الميادين وكذا انعدام الضمير عند بعض اعوان الدولة فالبعض يفتقد للكفاءة والبعض للخبرة الادارية.

كما اشتكى الأمير دائما من وجود قسمين من الموظفين : اعوان نزهاء وامناء لكنهم يفتقدون للخبرة الادارية اما الذين كانوا اهلا لمهامهم فهم بالصدفة موظفون سابقون للبايات ولكن يفتقدون الدقة ويستهينون بمبادئ القرآن.

غير ان الأمير كان يقظا دوما لتعزيز الفجوات، كما رجع دوما إلى تقنيات المساجين والهاربين من الجندية حتى يستخدمها في مختلف ورشات الحرب اذ كان ذو نشاط غير معهود.

بيد ان الطاعة العمياء للشعب الأقرب إلى الزهد في جميع الاصعدة خلقت اسطورة عصمة السلطان أو المخزن أو كل ما هو

---

(1) اسس الماريشال فالي سياسة الارض المحروقة " النهب" التي مارسها بيجو على نطاق واسع.
في الخامس عشر اكتوبر 1845 توجه بوجوب اعلان الى العرب والقبائل يقول فيه "ان الثورة ضد القوة الفرنسية المذهلة ستؤدي الى نتيجة واحدة إلا وهي الدمار التام للعرب" لم يحرم بيجو واتباعه انفسهم من تسيير هذا الدمار الى الاخير.

متعلق بها. نسمي المخزن الحكومة أو الدولة، وهي كلمة اصلها من الفعل "خزن"[1]. كانت تعني في الاصل الخزنة أو البيت حيث تخزن املاك الدولة الناتجة عن منتج العشور والزكاة والاراضي الحكومية والممتلكات المسلوبة والغرامات والاملاك الشاغرة والغنائم.

نادرا ما نلاحظ التناقضات في منطوق القرارات ما جعل فكرة السلطة العادلة والصارمة تسود وبشكل كبير.

ويمكن ان نقارن نمط التفكير هذا بالذي كان سائدا مع اندلاع الثورة التحريرية حيث كانت القيادة تقريبا بيد جبهة التحرير الوطني.

جمعت طريقة ادارة الأمير عبد القادر بين الاصالة والعصرنة اذ كان يعلم كيف يجمع بين النزعتين إلى ان وصل إلى تأسيس دولة تيوقراطية تنسجم فيها المؤسسات التقليدية مع القوانين الاسلامية. يجب الاعتقاد بأن هذا الانسجام كان ايجابيا اذ اعطى مفعوله طوال خمسة عشر سنة كما تبنته السلطات المحتلة واليكم ما يرويه لنا التاريخ العالمي بهذا الخصوص :

---

(1) اغلق وجمع



الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله

Appel adressé par l'Emir aux Européens d'Algérie, les incitant à la fuite et à la désertion et à leur enrôlement dans son armée (1ᵉʳ moharram 1256 h (5 mars 1840)

نداء موجه من قبل الأمير للأوروبيين في الجزائر محرضا إياهم على الفرار والالتحاق بجيش (1 محرم 1256هـ / 5 مارس 1840)

"ولكن اذا كان الرجل عتيقا، فستكون السياسة والجندية اكثر عصرنة وهذا ما ادركناه بوضوح. بدا على عبد القادر روح انتهاز الفرصة السانحة والادراك الواضح للنقاط التي تزيد من قوة اعدائه اذ كان يستفيد من ايجابياتهم ويكيفها مع طبيعة رجاله كما تميز بمواهبه في تحريك الرجال واتخاذ المواقف وقول الكلمات اللازمة لتحميس الجماهير وكذا بحنكته الديبلوماسية التي ضمنت له الانتصار حين ترتكب جنرالاتنا خطأ لوقف الحرب من أجل الشروع في المفاوضات. وأخيرا باختصار شديد، لم يكن على بيجو إلا تقليد خطته التكتيكية اثناء احتلاله لمملكته، اذ لم يجد افضل من إدارة الأمير قدوة له "(1).

12- عواصم الأمير

كما رأينا سابقا، كانت العاصمة الاولى التي تبناها الأمير هي معسكر اذ استقر في قصر البايات. ولكن حتى بعد ماقدم سكان هذه المدينة والمدن المجاورة ضمانات الاخلاص والوفاء والولاء إلا انها بقيت هشة وما فتئت ان حاصرها العدو واحتلها في ديسمبر 1833. هكذا

(1) التاريخ العالمي المصور للشعوب وللبلدان، ايدموند بوتي، كيلي، باريس، الجزء السابع، الصفحة 34 وما يتبعها.
بالحديث عن هذا النظام، قال بيجو : "لم تخضعوا البلد كله فقط ولكنكم نظمتم حكومة العرب، لقد نظمتموها بطريقة بسيطة. انه التنظيم نفسه الذي تبناه عبد القادر وبما انه رجل عبقري، لم نعتقد انه بإمكاننا ان نقوم بأفضل من اخذه كقدوة. غيرنا الرجال وابقينا على بعض الامور (بول أزان عبد القادر، الصفحة 203).

إختار الأمير المدينة التاريخية والعاصمة السابقة لبني رستم نظرا للايجابيات الاستراتيجية التي تتوفر لديها ألا وهي "تاقدامت". كما اسس لموقعين محصنين يتعلق الامر بموقع ببوغار وتازة[1] غير ان موقع تازة كان الاهم. في بوغار، بنيت مخبزة ومستشفى ومصنع للبرانس ومدابغ ومصنع الذخيرة. وفي تازة، بنيت طاحونتان تحركان بعجلة ريحية ومدبغة ومصنع الاغطية وكل ما يحتاج اليها الجيش.

تاقدامت

ان حدة ذهن الأمير المعتادة جعلته يعتبر أن تاقدامت توفر امتيازات ضرورية من أجل الخوض في الكفاح. لقد اعاد اعمارها بتكاليف باهضة كما دعمها بكل تفنن ألهم به هو ومستشاريه العسكريين .

تتوفر تاقدامت على ايجابيات من الناحيتين العسكرية والمدنية، تجعلهاعاصمة ثانية للمملكة، ستعوض معسكر التي يهددها العدو باستمرار.

ان الأسباب التي دفعت الأمير إلى اختيار هذه المدينة عاصمة الرستميين، تيهرت سابقا، هي كالتالي :

(1) قلعة تازة خلال الفترة الاستعمارية وتسمى حاليا ببرج الامير عبد القادر، تشرف هذه القلعة على جبال الونشريس

1) يربط هذا المركز بين تجارة التل والصحراء اذ يجوب فيه الرحالة بسهولة بحكم قربه من أراضيهم الزراعية وممراتهم، وبإمكانهم العثور ايضا على المنتجات التي هم بحاجة إليها بالتل وكذا بيع اغنامهم ومنتجاتهم من دون الحاجة إلى التنقل.

2) بفضل هذا المركز، سيتمكن الأمير من مراقبة البدويين الذين يشكلون مصدرا مهما للزكاة وطاقة بشرية معتبرة للحروب.

3) ان هذا المركز بعيد عن انظار العدو الذي لا يمكنه الوصول إليه إلا بعد عبور التل والهضاب العليا ما يسمح للأمير بالحصول على معلومات وقت تنقلاته وتفادي اي هجوم.

4) نقطة حساسة يمكن من خلالها مراقبة قبائل الجنوب التي مالت إلى الخروج عن السلطة المركزية واعطاء قدوة سيئة.

5) نظرا لعزلتها، خصصت تاقدامت لخدمة المركز الصناعي للحرب بعيدا عن اي قصف يكون في متناول العدو.

كان رجاء الأمير هو أن تصير هذه المدينة معمرة ومهمة من الناحية الاقتصادية، كما أمل في ان تعوض معسكر.

لقد بدا انها تقدم ايجابيات معتبرة، إنها ليست اختيارا خاطئا مثلما توقع المؤرخون الأوروبيون بل مركزا مهما خلال الكفاح الذي استمر

لأكثر من ثماني سنوات. لقد كلف اعمارها بالتأكيد مبالغ باهضة غير انه لم يعمرها مثلما اراد.

و لكن البنية التحتية التي اسسها تعوض التكاليف الباهضة التي دفعها.

بلغ عدد سكان المدينة 4000 إلى 5000 نسمة كأقصى تقدير ويتألفون خاصة من الهاشميين الذين استقروا بصعوبة، كما احضر الأمير معه كراغلة المدية ومليانة، المشتبه تورطهم في علاقات مع فرنسيي الجزائر، إلى جانب افراد من مزغران.

كان يوجد في المدينة القديمة، بالأصل بعض المئات من المنازل المبنية بالأجور تفصلها ممرات ضيقة. بنى الأمير في الأسفل القصبة أو القلعة بأسوار سميكة وحادة، شكلت هذه القلعة اقامته.

على بعد مائتي قدم، وعلى منخفض، قام ببناء حصن مربع الشكل يبلغ طوله من الجانب حوالي 50 إلى 60 مترا وبلغت ثخانة اسواره مترا ونصف كما وصل ارتفاعها من خمسة إلى ستة امتار اضافة إلى الباب الوحيد الذي يطل على الثكنة دون نسيان أبراج المراقبة التي ترتفع مع كل زاوية.

في مركز الحصن، توجد الحظائر والمحلات ومصنع الاسلحة والمصرف ومسبك المدافع.

كما وضع الاحتياطي من عتاد الذخيرة في صهريج كبير يعود إلى العهد الروماني ويقع على بعد خمسين قدما من الحصن، غير بعيد عن القلعة، كان الصهريج مليئا بقضائب من حديد بالرصاص والبارود وملح البارود والكبريت وغير ذلك من عتاد الحرب.

يمكن للبنايات الثلاث ان تأوي 1800 محارب وعامل وتعاقبت الحامية باستمرار كما احيطت هذه البنايات بخندق متفاوت العمق والعرض.

استولى الفرنسيون على تاقدامت بدورها عام 1841. ومنذ سقوطها، لم يعد بالإمكان خوض حروب المواقع والاستقرار، لقد اصبح العدو اكثر قوة بفضل محاربيه الذين يتزايدون يوما بعد يوم إلى درجة انه تمكن من فرض القوة بحدة السيف.

اسس عبد القادر لدواره المتنقل "الزمالة" فقد خشي منذ ذلك الوقت من تعميم الحرب والانتقال مع دواره من منطقة لأخرى إما لضرورات تفرضها الادارة المدنية أو ضرورات تفرضها الحرب.

13- اخر عاصمة للأمير "الزمالة"، مدينة من النسيج

مع نهاية الكفاح، شهد الأمير سقوط مدنه الواحدة تلوى الاخرى بين ايدي العدو، فقد طالها التهديد في كل لحظة وخضعت للقصف وللحرائق ومن ثم الاحتلال. فبعد معسكر، جاء الدور على تلمسان وسعيدة والمدية وتازة وبوغار ومليانة وبوسعادة وحتى تاقدامت التي كانت بمنأى عن هجمات الفرنسيين.

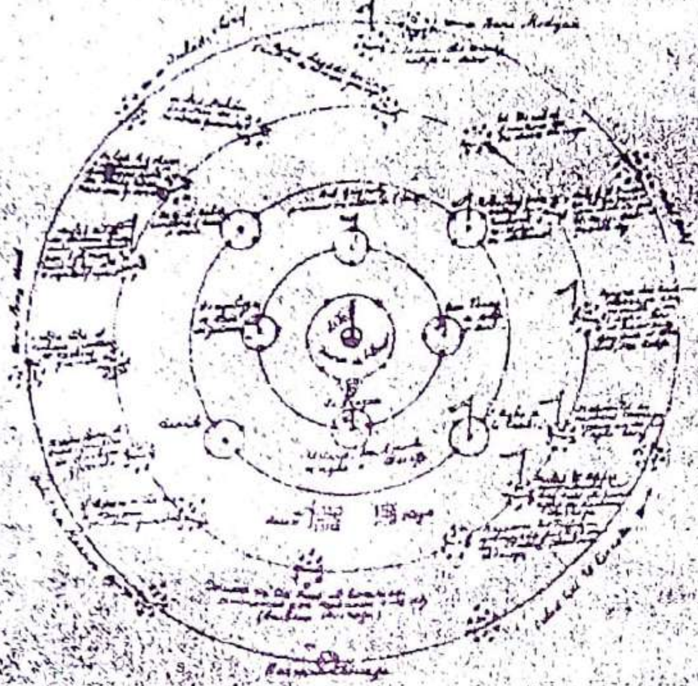
ومنذ 1842، فقد الأمير الشعور بالأمان في اقاماته الرسمية فاتخذ قرار بتأسيس عاصمة متنقلة يمكن تفكيكها ونقلها إلى اي مكان، ومن ثم تغيير موقعها بحسب الحاجة، لم يكن هذا من اختراع الأمير فقد تواجدت دواوير تتنقل بحثا عن الماء والكلأ لماشيتها، غير انها لم تبلغ درجة تعمير المدن الحديثة التي عهدها الأمير. وفي ظل هذه الظروف برزت مدينة جديدة مليئة بالضجيج وفريدة من نوعها، تأوي عشرات الالاف من البشر (50000 إلى 70000) معظمهم مدنيون ونساء واطفال وطاعنون في السن ورجال سليمو البنية منشغلون بالتجارة والصناعة والرعي. تولت حماية المدينة فرق من الخيالة والمشاة الذين لا يتجاوز عددهم الخمسمائة، انشغل هؤلاء خصوصا بالحفاظ على النظام الداخلي للمدينة اكثر من حمايتها ضد العدو.

Composition et Installation

de la Smala quand le terrain lui permettait de camper

d'après la formation adoptée par l'Emir Abd-el-Kader.

Cette Smala a été enlevée le 16 mai 1843 par S.A.R. Monseigneur le duc d'Aumale



تشكيل وتركيب مدينة الزمالة

COMPOSITION ET INSTALLATION DE LA SMALA

حملت هذه المدينة، التي لا يمكن اعتبارها معسكرا عسكريا، اسم الزمالة وقد شرحنا سابقا معنى هذه الكلمة. وهي مدينة كلاسيكية مسلمة تتمتع بإدارتها المدنية وقضائها وموثقيها واعوان ضرائبها ومجلسها البلدي ومدارسها ومكتباتها وشيخ تجارها وشرطتها البلدية.

عام 1843، بدأت أنظار العدو توجه إلى هذا التنظيم الاداري للأمير الذي عان الامرين من أجل تأسيسه، تطلبت اعادته قدرا من المشقة، فقد كان على الأمير ان يعيش حياة ملؤها الحركية وذلك بتحويل عاصمته إلى مدينة متنقلة تمتد على طول ألاف الكيلومترات في الجنوب اين يسود الامان نوعا ما.

تقسيم مدينة الزمالة و إقامتها

تتضمن المدينة ثلاثة ألاف وثمانية وستون دوارا، يتألف كل واحد منها من خيم منتصبة على طريقة المخيمات العسكرية، كان هناك اربعة صفوف دائرية من الخيم تفصلها ممرات تدعى "الترعة" وبمقابل كل خيمة، يوجد مكان لراحة الحيوانات يسمى "المراح".

في المركز، يتواجد دوار الأمير وبه خيمات خاصة بعائلته إلى جانب خيم حراسه وكتابه وخدامه والتي تتواجد بها الخزينة العامة.

لم تكن المدينة محاطة بمعاقل أو خنادق كما لم تخصص قطع مدفعية من أجل حمايتها.

كانت الحياة شديدة التماسك وبسيطة إلى ابعد الحدود، اذ تميزت بعاداتها وتقاليدها، كانو يصلون ويتزوجون وينظمون الحفلات وعمليات الختان ويبيعون النسيج في المحلات ويعملون ويصنعون منتجات تقليدية ويحيكون الملابس والزرابي و يجتمعون في سهرات يحكون عن انتصارات جنود الأمير بل يتحدثون حتى عن احداث الجزائر ووهران والمغرب وتونس وفرنسا وأوروبا وتركيا.... الخ.

لما اضطر سكان الدوار التنقل لأسباب متعلقة بالأمن و الماء والكلأ، اعادوا نصب خيمهم في موقع جديد حيث تطبق القواعد نفسها بخصوص وضعية وتموقع الخيم.

سنتحدث لاحقا عن هذه العاصمة من جديد، عندما نصف كيف استولى العدو عليها وقرر تدميرها مثلما قام به مع العواصم الاخرى[1].

---

(1) ف.ب.ازان عبد القادر من الصفحة 184 الى الصفحة 186 وبيشون الصفحة 105 عندما نذكر امتداد الزمالة قال الامير انه لما يضيع الرجل عائلته فانه يستغرق اياما لإيجادها.

14- التقسيم الاقليمي تحت قيادة الأمير عبد القادر.

انتهج الأمير تقسيما اداريا مركزيا للبلد سهل عليه وعلى مفوضيه المحليين ممارسة السلطة بصفة مجدية.

و قسم الإقليم إلى عدة خلافات أو ولايات كما عين الأمير خليفة على كل واحدة منها، يخلص له جسدا وروحا، لقد مارس سلطته باسم السلطان، كما كانت مقاطعته المحلية محددة وفقا للظروف الجغرافية والطبيعية في الإقليم وللضرورات الاقتصادية والاعتبارات السياسية وامكانيات التواصل عبر اقليم الولاية نفسها. بلغ عدد الولايات تسعة : التيطري تحت قيادة محمد البركاني والسباعو تحت قيادة محمد بن محي الدين والمجانة تحت قيادة الحاج محمد طوبال المقراني وحمزة تحت قيادة احمد بن سالم والزيبان تحت قيادة محمد ولد حاج الصغير ولد سيدي عقبة والصحراء تحت قيادة قادور بن عبد القادر ومليانة تحت قيادة محمد ولد سيدي علال بن مبارك ومعسكر تحت قيادة مصطفى بن تامي وتلمسان تحت قيادة محمد البوحميدي الاولهاسي (1).

(1) كان ولد سيدي مبارك شخصية كبيرة ونافذة تنحدر من العائلة المرابطية ولاد سيدي مبارك بالقليعة، من اصل مغربي. ينتمي بركاني الى عائلة البراكنة وبني مناصر (شرشال)، كما كانت عائلة بن سالم بالسباو او حمزة مرابطية وتوسع نفوذها ليشمل منطقة القبائل كلها.

قسمت الولاية إلى عدة اغاليك أو مقاطعات ادارية عين على رأس كل واحدة منها اغوات لفترة محددة يغيرون قبل أو كل سنة.

على الأغا ايضا ان تتوفر فيه شروط معنوية ومادية ودينية اضافة إلى صفات أخرى متعلقة بالأصل ويختار عادة من بين اعضاء قبيلة نافذة نظرا لامتدادها وثرواتها.

يجدر التنويه إلى ان الشرط الديني والالمام بالعلوم الالهية شكل مرجعا منينا بالنسبة للمرشح لهذا المنصب إتجاه اتباعه واتجاه السلطة المركزية. واذا لم تكن الثروة والاصل شروطا مطلقة للحائز فإن غيابها يشكل عائقا جديا بالنسبة له. وحتى يبقى على تواصل مع الاشخاص ذوي المقام الرفيع المدعوين إلى تنفيذ اوامره وأحكامه، وجب عليه ان يعكس صورة القائد الاعلى بكل ميزاته امام أتباعه لان الخصال الدينية والتربية الحسنة ضرورية للحصول على سلطة ما مهما كانت درجتها، فإذا لم يتوفر على هذه الخصال سيصير محل سخرية.

كان هذا الفكر خلال فترة حكم الأمير، اكثر وضوحا .

كما قسمت الاغاليك إلى عدة قواعد شكلت كيانات ادارية متالفة من قبيلة أو قبائل أو عدة فرق من القبائل.

وكانت القاعدة هي التقسيم الوحيد المتمتع بالشخصية المدنية كما كان القايد هو الحائزالحقيقي على السلطة لأنه يمارسها فعليا على رعيته، على خلاف الاغا والخليفة اللذان لا يمارسان سلطتيهما إلا عن طريق شخص وسيط أو بعبارة اخرى شخص ذي درجة ادنى، إلا في حالة ما اذا كانوا هم قادة القبائل ويمارسون القيادة بصفة مباشرة.

كان القائد على علاقة مباشرة برعيته فقد بسط يده مباشرة على القبيلة التي يعرفها احق المعرفة، فرقة بفرقة ودوار بدوار بل خيمة بخيمة كما لم يغب عنه اي حدث. وبمساعدة شيوخه الذين كانوا اعوان التنفيذ في الفرقة وسع القائد سلطته إلى ان وصل إلى اصغر قرية تحت قيادته.

مارس الخليفة والقائد والاغا السلطة الادارية والقضائية معا غير ان صلاحياتهم كانت محددة كما لم يكن هناك مجال لان يتطاول موظف على اختصاص اخر.

15- القضاء

مارس ممثلو الأمير بجميع درجاتهم القضاء العلماني المبني ضمنيا على القرآن والسنة ولكن قبل كل شيء على العقل السليم والعادة أو العرف الجاري (التقليد المعروف)، فهم لم يشهدوا اي من النزاعات

عقارية أو قضايا الاحوال الشخصية أو قضايا التركات التي كانت من اختصاص القاضي الذي سنحدد صلاحياته لاحقا. واضافة إلى صلاحياتهم، سميت سلطتهم القضائية المعتدلة بحكم المخزن الذي ينفذ باسم السلطان، وامتدت صلاحيات كل واحد منهم بدءا من جنح القانون المشترك إلى غاية جرائم القتل والسرقة باستعمال السلاح واللصوصية والتمرد والاعتداء على المسافرين والسرقة والتجسس لصالح العدو واللجوء إليه وحتى ربط علاقات تجارية معه.

16- صلاحيات موظفي الأمير السامون

كان الخليفة الممثل المباشر للأمير اذ تولى مهمة تحقيق وحدة السلطة في ولايته التي يراقب منها نشاط الاغوات الذين يستخدمهم بدورهم لمراقبة نشاط القادة، كما أنه يقود جيشه أيضا وقت الحرب.

يطبق القضاء العلماني "حكم المخزن" في قضايا محددة ويدرس احكام الاغوات اثناء الاستئناف بمركز ضرائب حكومته.

واعتبر ايضا الحكم في نزاعات الاختصاص التي ترفع إلى القادة المأمورين التابعين لسلطته ونقصد الاغوات والقادة والقضاة.

عقارية أو قضايا الاحوال الشخصية أو قضايا التركات التي كانت من اختصاص القاضي الذي سنحدد صلاحياته لاحقا. واضافة إلى صلاحياتهم، سميت سلطتهم القضائية المعتدلة بحكم المخزن الذي ينفذ باسم السلطان، وامتدت صلاحيات كل واحد منهم بدءا من جنح القانون المشترك إلى غاية جرائم القتل والسرقة باستعمال السلاح واللصوصية والتمرد والاعتداء على المسافرين والسرقة والتجسس لصالح العدو واللجوء إليه وحتى ربط علاقات تجارية معه.

16- صلاحيات موظفي الأمير الساموون

كان الخليفة الممثل المباشر للأمير اذ تولى مهمة تحقيق وحدة السلطة في ولايته التي يراقب منها نشاط الاغوات الذين يستخدمهم بدورهم لمراقبة نشاط القادة، كما أنه يقود جيشه أيضا وقت الحرب.

يطبق القضاء العلماني "حكم المخزن" في قضايا محددة ويدرس احكام الاغوات اثناء الاستئناف بمركز ضرائب حكومته.

واعتبر ايضا الحكم في نزاعات الاختصاص التي ترفع إلى القادة المأمورين التابعين لسلطته ونقصد الاغوات والقادة والقضاة.

تدوم فترة توليته على قدر ما اراد الأمير وهكذا نستنتج بسهولة انه في دولة متسلطة كدولة الأمير عبد القادر يجب على الرجل ان يتسم بالقوة والعدل كما ان غياب الكفاءة وضعف التفكير والاخلال بالواجب يؤدي حتما إلى الغاء مهام ذات اهمية.

لقد كان الاغا ثالث شخصية في تسلسل الدولة، وقد يتوقف عن آداء مهامه بعد سنة من الخدمة غير انه يمكن تجديدها باستمرار.

يمتلك سلطات الشرطة كما تولى مهمة توظيف المحاربين لخوض الحرب.

يراقب نشاط القادة الذين هم تحت لواء سلطته

يدفع منتج الضرائب والغرامات التي حصلت بالقواعد التابعة له.

يتمتع بسلطة قضائية يمارسها وفقا لحكم المخزن.

يسلم للخليفة القضايا الخطية التي تتجاوز اختصاصه المحدد بدقة

وكان القايد القائد المؤقت لأصغر كيان اداري ويتعلق الامر بالقبيلة أو بفرقة القبيلة.

كما يوزع مبلغ الضرائب الذي تم تحديده بمساعدة الشيوخ على الفرق والدواوير.

يضمن القايد امن القبيلة ويقود كتيبته، المؤلفة من عناصر جندها بنفسه في الجيش، وقت الحرب.

17- القاضي

شخصية مهمة لم تنل شهرتها من حيث منصبها بل نظرا إلى علمها ومدى تطبيقها للنصوص القرآنية، ويتم اختيارها من بين العلماء المعروفين علنا أو المعينين تلقائيا بعد اجتياز اختبار يخضع له المترشح عند فقيه نابغة.

ان المعيارين الوحيدين المتبعان اثناء توظيف القاضي، الذي بإمكانه ان ينحدر من نسب متواضع، هما السيرة والعلم.

لم يكن القاضي ممثل الأمير بل انه منفذ النصوص الالهية لأنه يطبق الشريعة أو التشريع النابع من القرآن والسنة.

كان يتولى تحقيق العدل عندما يتعلق الامر بنزاعات خاصة ،فقد كان على دراية بالإجراءات العقارية واجراءات الأحوال الشخصية والميراثية، ضف إلى ذلك انه يصدر عقودا حررها موثقون كان قد اهلهم

لممارسة وظائفهم في المحكمة، هؤلاء الموثقون المسمون بالعدول هم عبارة عن شاهدين مهذبين قد رخصا لهما -"عدل الرضا"- لتلقي شهادات الاشخاص والحفاظ على مبادلاتهم عن طريق تحرير عقد توثيقي يسمى العقود أو الوثيقة أو الرسوم يقومون بتوقيعه ويصادق عليه القاضي الذي يؤشر بعبارة الموافقة (خطاب القاضي)، وكانوا ايضا عبارة عن كتاب ضبط يساعدون القاضي في تحقيقه للعدل أو يتخذهم كشهود بالرجوع إلى الكتاب أو السنة واقوال الفقهاء المسلمين وفق المذهب المالكي أو الحنفي أو الاباضي تبعا للمنطقة.

على القاضي ان يكون على دراية بالعقوبات " التعزير" أو بتلك التي فرضها الله تعالى "الحدود" والتي اتسمت بالقساوة .

كان القاضي يتمتع بحق التصرف في منطوق الأحكام ولم يخضع ابدا للسلطة المؤقتة التي ساندته في تطبيق الشريعة، ويتعرض كل مناهض أو مدعى عليه أو محكوم عليه رفض تنفيذ حكم من احكام الشريعة إلى الاكراه البدني والمالي الذي ينطق به القايد.

كما كان القاضي على دراية بقضايا العقوبات وتلك المتعلقة بالشرطة التي قد يطعن فيها طرف ثالث ويطلب التعويض، لم يحكم القاضي بعقوبات الغرامة أو بالحبس لانها تصدر في حق من يستهدف المجتمع (الامة) وليس الفرد.

كما يبدي المجلس عادة رأيه في مشاكل خطيرة سياسية وعسكرية واجتماعية. ومن أجل ضمان مساعدة القانونيين وبكل وعي، يطلب عادة من الأمير استشارة علماء فاس في قضايا حساسة كهذه.

اعتبر الجزائريون علماء فاس (الفقهاء) افضل الممثلين والمحافظين على العلوم الدينية والقانونية المسلمة بحسب المذهب المالكي، فلم يكن ينقصهم الالمام بالعلوم القانونية مقارنة باعضاء المجلس الذين كانوا فقهاء عال شأنهم بل كانوا يسعون إلى النزاهة وترك الارتباك لذلك كانو يفضلون استشارة علماء وقضاة العاصمة المغربية[1] واحيانا علماء الازهر، ما يمنح وزنا لقرارات المجلس التي يدعمونها بآراء القانونيين المعروفين علانية.

لم يسبق للأمير ان اتخذ قرارات بلا اكتراث بل باستشارة المجلس الذي يرأسه عادة والذي يعكس في اغلب الاوقات الرأي العام الذي يفرض وجهات نظره في الحالات الخطيرة أو على الأقل يخضع عندما ترد الفتوى من فاس أو القاهرة.

نمىَّ الأمير روح الشورى في نفوس مستشاريه كما انه في احدى المرات سمح بحضورمبعوث الماريشال فالي خلال نقاشات المجلس

(1) يتمتع علماء الزيتونة بقدر لا باس به من الشهرة وسط الجزائريين غير ان تونس كانت بعيدة عن معسكر

التي عقدت بهدف دراسة امكانية تحضير ملحق لمعاهدة التافنة التي اراد الفرنسيون تعديلها.

غير ان مستشاري الأمير رفضوا التدوين، فلاحظ المبعوث بنفسه الرفض القاطع الذي أبداه المجلس بخصوص تعديل المعاهدة[1].

هكذا، تردد الأمير في اصدار عقوبات، بحق بني عامر والدواير وزمول منطقة وهران، التي تمردت على المقاومة منذ البداية، وذلك جراء تحريض مصطفى بن اسماعيل اذ رفضوا دفع الضريبة المشروعة ومساهمة الحرب "المعونة". فقائد القبيلة هذا لم يتوقف، خلال فترة كفاح الأمير إلى غاية وفاة هذا الخائن المعروف بعونه لفرنسا، عن خلق المشاكل، اذ سخر من الأمير وسماه الطويلب الصغير الطماع.

ب) الاستشارات القانونية

في الثامن مارس 1837 الموافق لـ 19 ذي الحجة 1252، وجه الأمير عبد القادر سؤالا إلى علماء فاس عن طريق السلطان مولاي عبد الرحمان من أجل استشارتهم في النقاط القانونية التالية:

---

(1) حضر قائد السجون في نقاشات المجلس وذلك بعد محضر العجز الذي قدمه هذا المبعوث كما عبر الماريشال فالي ودوق اورليان على راس الجيش معبر البيبان ناقضين بذلك معاهدة التافنة.
في الواحد والثلاثين اكتوبر 1839 حذر سيدي حاج محمد طوبال المقراني خليفة الامير بمجانة هذا الاخير من هذا الاعتداء على تقدامت اولا.

1) فيما يخص المسلمين الذين يساعدون غير المسلمين على الدخول إلى التراب الوطني واعلان سيادتهم وكذا منحهم احصنة ويكشفون اسرار المسلمين.

2) فيما يخص المسلمين جيران الذين سبق ذكرهم والذين يتحدون القوانين ويرفضون تنفيذها ولا يقومون بمد يد العون، ماذا سيكون مصير اشخاصهم واملاكهم ؟

3) ما هي العقوبات التي تلحق الاشخاص الذين يتهربون من واجب حماية نسائهم واطفالهم لما يرفع الامام دعوة مقاومة العدو ويتولون عنها ؟ هل يجب مصادرة املاكهم ؟

4) ما هو مصير من يرفضون دفع الزكاة مع انهم قادرون على ذلك ؟ هل علينا أن نثق بتصريحاتهم ؟

5) هل هناك أجل للحرب المقدسة ؟

6) ما هي الموارد التي نحتاجها لحماية الجيش من العدو عندما تنفذ اموال الخزينة العامة ؟

في حالة ما اذا لم تغط الزكاة التكاليف، هل يمكن فرض مساهمة بالاكراه ؟ وهل مساهمة الحرب المقدسة متطابقة مع القانون ام لا ؟ هل علينا اعادة سنها ام لا ؟

كلف سلطان فاس بالنظر في هذه الاستشارة القانونية، وكان الفقيه المشهور سيدي علي بن عبد الله السلام التسولي الملقب بمديداش مؤلف تعليق التحفة كما حرر ابن عاصم الجواب، واليكم مقتطفات من مذكرة العالم.

يؤدي موقف القبائل في الظروف الحالية إلى بروز حق وضرورة مكافحتهم ومعاقبتهم

يجب قمع من يخفون الجواسيس ويدلون بمعلومات إلى العدو ويشهرون بسلطة الخائنين، انهم اكثر حقارة من العدو نفسه لانهم يتحالفون مع الخونة بل هم الخونة انفسهم.

فيما يتعلق بالتجار، فهم مثل الجواسيس يجب قتلهم بعد ثبوت الحجة على تورطهم. كما حصلت القضايا الأخرى على اجوبة نابعة من القرآن وأقوال الفقهاء على غرار الشيخ ميارة وابن الابار والتودي بن سودة والزيات والغفاري وعبد القادر الفاسي وابن العربي والبورزولي [1].

(1) الارشيف المغربي VXI رقم 01 – 1907 الصفحات 116-128.
كتاب الاستقصاء الجزء التاسع الصفحات 36 و37
تحفة الزائر الجزء الاول الصفحة 206.

كما تم توجيه استشارة اخرى إلى امير فاس، واليكم النقاط الاساسية مع اجوبتها.

السؤال الاول: كيف تتم معاملة القبائل المتمردة التي ترفض دفع الضريبة ؟

الجواب : مقاتلتهم إلى غاية اخضاعهم بالكامل واجبارهم على تنفيذ التعليمات الا اذا عادوا بنية حسنة وهنا يحق لهم طلب العفو

السؤال الثاني : كيف يعامل الجاسوس ؟

الجواب : بتطبيق العقوبات والجزاء

السؤال الثالث : فيما تتمثل المسؤولية الجماعية تجاه الجرائم التي يرتكبها فرد من افراد القبيلة ؟

الجواب : ثلاث فرضيات

أ) يلجا الجاني إلى مسلم لا يوافق عليه ولا يتواطىء معه اذ لا يتحمل المضيف المسؤولية

ب) يردع المضيف الجاني ويعيده إلى الطريق الصحيح من دون ايوائه أو التواطؤ معه وهنا تكون مسؤوليته ملتزمة ربما.

ج) يقوم شخص ما بحماية الجاني ويتقاسم ارائه ويساعده ويتكفل به، يرتكب هذا الشخص جريمة الجاني نفسها.

السؤال الرابع : كيف كانت العلاقات التجارية مع الفرنسيين ؟

الجواب : محظورة

السؤال الخامس : ما هي عقوبة المتمردين على الغرامة المالية ؟

الجواب : ابديت اراء مختلفة

السؤال السادس :هل يترك العاهل وممثلوه الافعال الذميمة التي يرتكبها السكان بدون عقاب ؟

الجواب : تفرض العقوبة ومن واجب كل مسلم ان يخطر بهذه الأفعال (فرض عين)

السؤال السابع : هل ينطبق الشيء نفسه على المسلم الذي لا يلبي نداء الحرب المقدسة ؟

الجواب : يجب تطبيق العقوبة

السؤال الثامن : ما هو دور الامام فيما يخص تجنيد المحاربين ؟

الجواب : عليه دعوتهم إلى الجهاد

السؤال التاسع : هل ينطبق الشيء نفسه على الذي لا يدفع الضريبة المشروعة ؟

الجواب : يجب اجباره

كما وجهت استشارات عديدة إلى علماء فاس.

وما يمكننا ملاحظته خلال قراءة الأسئلة المطروحة، انها تعلقت بالحرب وبالضريبة المشروعة للحرب وبتصرف الأفراد والجماعات إتجاه الجهاد وكذا العلاقات مع العدو والمبادلات التجارية معه.

21- الشيخ

كان الشيخ قائد فرقة القبيلة التي ينحدر منها بالضرورة، كما كان شخصا عاديا وذا نفوذ وسط اتباعه ولكن سلطته الخاصة كانت الوحيدة التي سلمت له من قبلهم والتي اكد عليها القائد، واذا كان غير واجب على الخليفة أو الاغا أو القائد ان ينحدر من القبيلة التي يقودها فانه على الشيخ ان ينحدر اجباريا من الفرقة التي يقودها.

يمكن اعتباره بمثابة العامل الرئيسي في الادارة المحلية فهو عون يتمتع باختصاصات عديدة، اذ انه الوسيط بين القائد واخوانه وبعتبر وال ثان يقوم بدور ضابط الشرطة في الوقت ذاته إلى جانب دور شيخ

التجار ومأمور الاحصاء وعون الضرائب، كما كان يبعث بالأوامر إلى مخزن القبيلة إلى جانب رفع المطالب والتظلمات الجماعية على مستوى السلطة العليا. وحسب المعنى الذي منحه لدوره، فان السلم والهدوء متعلقان بمقياس لا بأس به من المهارة من أجل تسبير افراد الفرقة الذين يعتبرهم إخوته، انه دور حساس جدا وضعه في موقف لا يحسد عليه. ضف إلى ذلك، ان اقل سخط تبديه الفرقة يسقط المسؤولية عليه.

لقد حدد بنفسه حصة الضرائب و"المعونة" المستحقة على اخوانه وهيهات للشيخ الذي يفضل اخوانا على حساب اخرين.و اذا كان المواطن طيعا ومؤدبا وخاضعا خضوعا اعمى لأوامر المخزن، فانه سيثور لأقل ظلم، كما كان الشيخ يتحمل مزاج اتباعه الذين لا ينزعجون من قول افعاله والتعبير عن سخطهم له.

وبممارسته لدور يتسم بالجحود والغموض، كان له استحقاق مادي ومعنوي سمح بالحفاظ على التلاحم والوفاق بين المواطنين وهو ما كان صعب التحقيق وقت السلم ووقت الحرب،و ما جعل مهمته اكثر صعوبة هو غياب كل صلاحية متعلقة بالسلطة على غرار منطوق عقوبة الغرامة والحبس والعقوبات الجسدية... الخ. واختار الأمير قادته من بين الشيوخ الذين اثبتوا ولائهم ونجاحهم في ادارتهم.

22- مكافأة الأمير لأعوان السلطة عامة

في حالة ما إذا اختار الأمير اعوانه من الطبقة الميسورة في المجتمع، فان ذلك بهدف تفادي استغلالهم لرعيتهم، كان لهؤلاء الخدام التزامات تجاه الرعية الذين يتوجب عليهم الدعوة في حفلات الاستقبال العديدة التي لا تغيب عنها التكاليف. على الموظف أن يعيش حياة ميسورة لا يمكن اعتبار مصطلحات الكرم والجود فيها باطلة كما لا يجب على المخزن والشعب التكفل بمصاريف الاسراف الضرورية هذه من أجل الحفاظ على ابهة السلطة.

إعتبرت خيمة الخليفة أو الاغا أو القائد، حيث تطفأ النار عادة، كخيمة خالية ويجب ان تكون عربيا[1] كي تتمكن من فهم معنى هاتين الكلمتين.

ومن أجل مواجهة كل هذه التكاليف، اتسم عون السلطة بيسر حاله وامتلاكه لمراع ومزارع. كما كان يقبض معاشا ثابتا يتغير بحسب الفترات

(1) استعملت عادة وساستعمل لاحقا كلمة "عربي" للتعبير عن الجزائري، اذ سمي هكذا قبل الاحتلال. يجب ان نفهم معنى المعرب والبربري لأن مصير الامير ارتبط طوال فترات الكفاح بالسكان وباللغة العربية والبربرية في الاقاليم الو هرانية والعاصمية والقسنطينية والجنوب. نعلم من جهة اخرى ان اغا العرب الذي اعتبر ثاني شخصية في الدولة قد قاد كل قبائل مدينة الجزائر (دار السلطان) وقبائل الشرق العربية والبربرية منها.

ويتقاضى ايضا ما يضاهي عشرة بالمائة من المحصول مقابل تحصيل الضرائب والمعونة والغرامات، وهي نسبة تمنح للشيخ ايضا مقابل منتجات ايراداته.

لم تمنع هذه الإعتبارات اعوان السلطة من رفع مواردهم عن طريق استلام الهدايا والاقتطاع غير العادل للمبالغ من الضرائب التي يحصلونها وذلك عن طريق فرض ضريبة عينية أو نقدية بمناسبة توليته (باروك البرنوس).

لم يكن على هذه الهبات التي سمحت بها السلطات ان ترفع صوت الاتباع الذين تحولوا وقت الكفاح إلى حالة معوزة ليس لديها ما تقدمه.

و عليه، افرغ محتوى خزائن الدولة في الفترات الآخيرة من الكفاح إلى درجة ان المتطلبات الادارية للأغا والقائد والشيخ كان يشتريها هؤلاء انفسهم (حق البرنوس) أو من ثمن برنوس التولية الذي يسترجع مثلما ذكرنا سابقا.

اما انتهاجا لسياسة ما أو نظرا إلى أن المؤسسة تقدم ايجابيات لا نقاش فيها لمجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي تبنى الفرنسيون الأساليب نفسها التي قمنا بعرضها سابقا منذ بدء الغزو.

و مثلما سبق التنويه إليه، كانوا يديرون، بفضل بساطة ودقة وسرعة الجهاز الاداري للأمير، منطقة نفوذهم بالهيكلة نفسها الرامية إلى محو ذكريات مؤسساتهم الوطنية التي رأوها منطوية تحت سلطة الاجانب الذين كانوا في تزايد مستمر.

23- مالية الدولة

تمثل مصدرها الأساسي في منتج الضريبة الزراعية التي يدفعها اجباريا كل مزارع أو راع بحسب قواعد القانون الإسلامي. إلى جانب حصيلة الزكاة عن الاشغال الحرفية والتجارية للمواطنين والثروات المدخرة المتمثلة في الاحجار المعدنية الثمينة والأموال ومختلف منتجات المناجم وكذا عن العمارات الحكومية المسيرة للايجار، من قبل اشخاص آخرين أو من قبل موظفي الدولة، على الاملاك المحجوزة أو على شغور التركة.

وبمجرد انتخابه، قام الأمير بإحصاء القبائل من أجل تحديد الضرائب التي قسمت على مواردهم.

ومع تزايد حاجيات الحرب، يضطر الأمير إلى خلق مساهمة استثنائية "المعونة" بعد استشارة القانونيين الجزائريين والمغاربة البارزين.

كما كانت خزينة الدولة ممتلئة على الاقل مع بداية الكفاح، ويجدر القول إلى أن الأمير راقب عن قرب تسيير المالية وصرف تكاليف شحيحة وهو ما جعل اعدائه يلقبونه بالطماع. كم من مرة استولى العدو على مبالغ استغرق الأمير وقتا لتكديسها اثناء الاستيلاء على مختلف عواصمه. رغم ذلك، فانه لم يتهاون في إعادة إنشاء الخزينة. تمثلت اخر عملية نهب مالية الدولة في سقوط الزمالة يوم الخامس عشر ماي 1843. لقد كانت هذه الضربة القاضية للخزينة التي صار تزويدها امرا صعبا للغاية حالها حال طعام الجنود، في الفترات الاخيرة تناول الأمير وعائلته وجبة تتكون من الكسكس والزبدة الذائبة والخبز، فحتى تكاليف هذه الوجبة العادية لم تعد تتحملها الخزينة العامة.

24- العملة والاوزان والمقاييس

أسس الأمير عملة جديدة من الفضة سماها "المحمدية" وتعادل قيمتها نصفين، يعادل النصف ربعين، وكانت العملتان من النحاس والبرونز تم صكهما بطريقة بسيطة بواسطة مخرز من الفولاذ.

صور الدورو الاسباني "بومدفع" في احدى وجهيه انبوب مدفع وتجاوزت قيمته قيمة قطعة فرنسا المؤلفة من خمسة فرنكات في ذلك الزمن وتم تداوله في انحاء مملكة الأمير كما ابدى الجزائريون اعجابهم

بهذه القطعة الاسبانية التي تزن 1 غرام 24 ذهب ما يعادل 10 دنانير و44 حاليا.

عادل الدورو اربعة ريالات من 1 فرنك 35، ريال ثلاثة ارباع وتبلغ قيمة الربع ثمانية محمدية تبلغ قيمتها 0 دينار 1044 بالعملة الحالية.

تحمل قطعة فرنكين النص التالي :

ان الشخص الذي اختار دينا اخر غير الاسلام لن يقبل اختياره

وفي الوجه الاخر تحمل العبارة التالية :

صكت بتقادم بتاريخ..

وتحمل قطعة فرنك العبارة التالية :

"الاسلام دين الله"

أما فيما يخص قطعة الخمسين سنتيم المسماة بالربيعة فهي تحمل العبارة التالية :

ربنا، ألهمنا الصبر وسدد خطانا.

مثلما نلاحظه، فإن الأمير لم يدون اسمه على اي قطعة نقدية وذلك من أجل تفادي المساس بكرامة العاهلين المغربي والتركي إذ أراد تجنب

الحساسية، ان عدم تدوينه لاسمه على العملات غير راجع لرغبته في ابراز استقلاليته تجاه العاهل فهو لم يرد الإنفصال عن الباب العالي وعن سلطان فاس، غير انه سعى إلى التعبير عن احترامه للمملكتين في مناسبات عديدة.

ولم يصدر الأمير عملة ذهبية معتبرا انها لن تؤثر على سير الاحداث وعلى الوضعية السياسية والاقتصادية للبلد. بالاحرى، فان العملة الجديدة التي صكها الأمير قد اتسمت بقيمتها الداخلية ولم يتم تداولها في مناطق النفوذ الفرنسية وفي المغرب، اما الدورو الاسباني فقد اعتبر كعملة صرف في مختلف بلدان المغرب ومارس الدور الذي يمارسه دولار الولايات المتحدة حاليا.

لما صك الأمير عملته الفضية والنحاسية والبرونزية، وجه إلى الجنرال دامريمون، الذي تولى منصب الحاكم العام في الفاتح افريل 1838، تهانيه بمناسبة ترقيته كما طلب منه في الوقت ذاته، وبواسطة اليهودي بن دران، السماح بتداول العملة الجديدة في منطقة النفوذ الفرنسية غير أن الجنرال رفض هذا العرض حتى لا تزيد شهرة الامير. من جهة أخرى. كان لفرنسا نية نقض معاهدة الدي ميشال اعتبارا إلى أن اهمية الأمير قد زادت وقد بدا بتعزيز مملكته على حساب القوة

الفرنسية. في الواقع، لقد كان الجنرال متأكدا من أن اصدار الأمير لعملته الجديدة سيزيد من قوته وسط العرب.

كان المقياس في فترة حكم الأمير هو الاوقية التي تزن حوالي 31.5 غرام، تؤلف ستة عشر اوقية الرطل التي يزن حوالي 500 غرام وتباع الحبوب عن طريق المقاييس المسماة بالسعة اذ يبلغ وزن الحمولة 150 كلغ، وتتنوع السعة من 7 إلى 9 وتصل إلى 10 ضعف الديكالتر وذلك حسب الحبوب ونوعيتها.

تقوم مصالح ذات خبرة بوخز الاوزان والمقاييس والاثقال ومقاييس السعة.

ويستعمل تجار القماش ذراع الزيانيد أو القلة التي يبلغ طولها حوالي 50 سنتيمتر[1].

25- الاعمال التي شجعها الأمير

أسس الأمير مستشفيات عسكرية ومدنية في المقرات الرئيسية للمقاطعات الادارية (الاغاليك) يمارس فيها اربعة اطباء فمنهم تحت سلطة طبيب قوات الأمير المسلحة هو عبد الله زروالي.

---

(1) مازال المخطط البدني للقلعة مرصعا في جدران مسجد أبو الحسان بتلمسان.

كما شجع العلوم وسلم منحا للاساتذة الواعين والطلبة المواظبين، علاوة على اعفائه الاساتذة والتلاميذ من دفع التكاليف الجبائية.

رغم مسؤولياته الثقيلة والتزاماته، إلا انه اعطى بنفسه دروسا في علم التصوف والقانون الاسلامي والقواعد النحوية وكانت تحضر حشود من الطلبة دروسه خلال رمضان لسماعها.

26- التجارة والاقتصاد - ثقافة وأخلاق

عرفت منطقة نفوذ الأمير خلال فترة طويلة من الكفاح نشاطا تجاريا كثيفا يرجع إلى وضع الأمن الذي ساد بهذه المنطقة إلى درجة انه يمكن القول انه في هذه المرحلة يمكن لفتاة ترتدي حلية على رأسها وتتجول في انحاء الإقليم الخاضع للأمير من دون أن تتعرض لاي خطر، كما ازدحمت الأسواق وتمكنت القبائل من تزويدها بالمنتجات الزراعية والحرفية وشراء ما هي بحاجة اليه.

ولا يناقش الأمير في قضايا متعلقة بأمن الطرقات والاسواق فالعقوبات التي تلحق قطاع القوافل التي تنقل السلع كانت صارمة إلى حد كبير.

كما تتم مراقبة اسعار المواد الغذائية وجودة السلع بدقة، ويضطلع المحتسبون بتجمعات المدن والاسواق بدور متعدد تمثل في مراقبة الاخلاق إلى جانب اسعار وجودة المنتجات المعروضة للبيع.

فيما يتعلق بالفرنسيين، حاول الأمير احتكار التجارة الخارجية والداخلية وبالخصوص تلك المتعلقة بالحبوب ومال المزرعة والصوف، كما راقب النشاط التجاري ككل اذ لم يركز على نشاط الفرنسيين فقط بل راقب نشاط رعيته ايضا، كان هدفه ألا تستقبل موانئ وهران ومستغانم وارزيو ومزغران التابعة للسلطة الفرنسية اية سلع من دون ترخيص منه.

لهذا الغرض، احتكر واستغل ملاحة ارزيو اذ عين نفسه ملكا عليهم باسم بيت المال.

كما قام بمركزة الحبوب الاتية من الضرائب والتي تم شراؤها من القبائل التي تنتهج السعر الذي حدده بنفسه. ينبغي على هذه الاخيرة أن لا تبيعها للفرنسيين ولذلك تكفل بتصدير القمح إلى اسبانيا أو بيعه إلى الفرنسيين بالسعر الرسمي، وهو ما حقق ارباحا قدرت باكثر من مائة بالمائة غير انها وللأسف قسمت بين الخزينة واليهود[1].

بفضل حدة بصيرته وروح المبادرة والتكيف اللذان يتسم بهما، وبفضل التسيير السوي لمالية الدولة الذي تم بطريقة تجريبية، تمكن من

(1) ب.ازان الامير عبد القادر الصفحة 46 هل يمكننا ان نتخيل انه بالرغم من صرامته إلا ان العديد من اتباع الامير اعتبروا ان تشدده مع العدو فيما يخص الدين لم يكن بالكافي اذ نسبت اليه البرودة خاصة عندما يتعامل مع العدو. تكلم بول ازان كثيرا عن هذا الجانب من كفاح الامير (الامير عبد القادر، الصفحات 217 و218)

جمع ثروة مهمة تضمن سيولة من العملة الصعبة الاسبانية وقطع ذهبية وحبوب مخزنة في انحاء الإقليم كما قام بتنمية روح التضحية ، حتى انه باع بالمزاد العلني جواهر عائلته بالساحة العامة عام 1839 لدفع مساهمته.

غير ان هذه الثروة التي جمعها بعد شح كبير قد تم الاستيلاء عليها مرارا وتكرارا من قبل العدو وخاصة خلال العمليات التخريبية الكبرى .

واصل الأمير ممارسة سلطاته على المناطق والسلع التي اتسمت بالوفرة وبزهد ثمنها، ولكن بمجرد بروز السلطة الفرنسية فك حكر الأمير وتنادرت السلع وارتفع سعرها كما ساد الخطر من جديد بالمدن والاسواق والطرقات. لقد كان لأعوانه اليد الكبرى في ذلك فقد كان لتنظيمه تاثيراايجابيا،بدائيا بالتأكيد، لكنه يكفي لخلق جو من اللاآمن وسط المنطقة. كان الأمير على عكس ما قاله المؤرخون الاوروبيون محل طاعة واحترام اكثر منه خشية.

من جهة أخرى وفي ظل سياسة الدمار التي انتهجها بيجو بدءا من 1841، حاول الأمير تبني سياسة اقتصادية تجاه العدو، لقد اراد لفت انتباهه إلى ثروات البلد لأنه على دراية بان تواجدهم لا يراد من ورائه

إلا وضع اليد على الثروات اذ كان يلزمهم فقط فتح الموضوع وذلك بإبراز مصلحة الطرفين من وراء استغلال الثروات المنجمية والزراعية، لقد بذل قصارى جهده من أجل دفع الفرنسيين إلى النقاش معه، لان هذا قد يسمح له بتحسين تنظيم دولته وتعزيز هياكله وتحسين ورشاته التي لم تتجاوز الطور الحرفي، كما ستسمح له الهدنة باسترجاع قواته لأنفاسها والدخول في غمار حرب في يوم من الايام.

أسس الأمير مكتبة مهمة، وكان يصدرتعليمات باستمرارمن أجل وضع الكتب ذات القيمة الكبيرة بالمكتبة المركزية التي اسست بتاقدامت، كما كان يكافئ الجنود والمدنيين الذين وهبوا له كتبا خلال النزاعات، غير ان هذه المكتبة التي عانى الامرين لجمعها قد ذهبت ادراج الرياح مع الاستيلاء على الزمالة من قبل الدوق دومال وهو ما احدث ألماً عميقا في نفس الأمير.

كما تكفل على وجه الخصوص بتطهير الاخلاق اذ حظر استهلاك المشروبات الكحولية حظرا شديدا كما حظر لعب القمار واستهلاك التبغ.

و حرص ايضا على التقيد بالصلوات الخمس و الاجتماع بالمساجد خصوصا لاقامة صلاة الجمعة حيث يتم تقديم تقارير عن النزاعات والتعيينات والعزل والعقوبات والقرارات المهمة.

كما كانت له شرطة نشطة تنشر النظام والأمن اللذين يسعى لهما الجميع، فتميزت الطرقات بالأمان كما مورست التجارة ونقل السلع عبر كامل المناطق بكل امان حتى مع المغرب والصحراء والبلدان المجاورة، لقد كان الإقليم الخاضع للأمير الاكثر امانا اذ ساد النظام بصفة اكبر مقارنة من منطقة النفوذ الفرنسية والمغرب وهو ما يؤكد عليه مؤلف كتاب "تحفة الزائر"[1].

حرص الأمير على امانة وجودة المنتجات والسلع الغذائية المعروضة للبيع فلقد سيرت مؤسسة الحسبة[2] على اكمل وجه.

27- المجالس الشعبية

على مستوى كل تجمع مدن، اسس الأمير مجالس محلية يتم انتخاب اعضائها[1]، تكفلت هذه المجالس بتسيير قضايا التجارة والدوار وتولى قيادتها القايد.

---

(1) الدول التي تتمتع بالسلام الملحوظ الذي اراد السكان فرضه بموجب الوصية الالهية " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر"

(2) وظيفة المحتسب او شيخ التجار، هو عون يعينه الامير لتمتعه بالصلاحيات الهامة لشرطة الاداب ومراقبة الاسعار وجودة السلع الغذائية والمواد الحرفية وكذا السير الحسن للعدالة.....الخ.

(1) لا يتشابه نمط انتخاب المستشارين البلديين والشيوخ لا من قريب ولا من بعيد مع النمط المعاصر لتعيين المنتخبين. لم يكن هناك كشوف للانتخاب او مؤسسات انتخابية مثلما نلحظه حاليا ولكن اذا مورس الانتخاب او الاختيار خلال اجتماع الاعيان الذين يعينون كل منتخب. بصفة عامة وبتواضع ، لا يترشح اي شخص ولكن قبيلته او فرقته تقترحه وتدعمه عادة بالعواطف وبمعاداة ترشح قبيلة اخرى.

تولى الأمير رئاسة المجلس المحلي الذي يحضر فيه هو أو احد خلفائه قانونا.

يتم تحرير عقد الجلسة ويوقع من قبل كل المستشارين الحضور.

وكانت المجالس القضائية تحت وصاية مجلس الشورى، تتخذ قراراتها بالتصويت.

يحتفظ بسجل المداولات حيث تدون محاضر الجلسات.

28- أختام الأمير وسلطة الاعوان.

كان ختم الأمير (طابع السلطان) عبارة عن صفيحة مستديرة من الفضة لها ممسك نحت فيه نقش عربي مأخوذ عن قصيدة البردة للشيخ البوصيري:

"فمن تكن بالله نصرته - ان يلقه الأسد في آجامها تجم"

وتحتها نقشت كتابة أخرى : "الله - محمد- ابو بكر - عمر - عثمان"

"المتوكل على الله: بن محي الدين - ناصر الدين .عبد القادر. العام 1248"

نقش في وسط دائرة داخلية ختم سليمان بثمانية فروع.

كان للامير نوعان من الأختام بحجمين مختلفين .أحدهما كبير الحجم " الطابع الكبير"مخصص لختم الظهائر المهمة مثل المنشورات التي تحمل تعيين الخلفاء، الاغوات،القادة والقضاة،الاعلانات المهمة والدعوة إلى الحرب (الجهاد). كان قطره حوالي 57 سنتمتر. اما الختم الثاني فهو صغير الحجم "الطابع الصغير" خصص للإلغاء، الإبطال وللأعمال اليومية الاقل اهمية

كان يسلم إلى موظف السلطة ختما فضيا دائري الشكل للخلفاء والأغوات والقادة، قطره حوالي ثلاثة سنتمترات وللقضاة آخر بيضوي الشكل . لم يكن للشيوخ أختاما.

لم يكن موظفي السلطة هؤلاء يستغنون عن اختامهم أبدا حيث كانوا يعلقونهم في اعناقهم بخيوط من حرير.

عند خلع موظفي السلطة أو القاضي،أووفاتهم ،يجب إعادة تسليم الختم الذي كان يعتبر مجسدا لتقلد المنصب، يحمل ختم موظف السلطة أو القاضي إسمه وإسم أبيه وكنيته، إذا ما كانت له كنية وكذا إسم الولاية والمقاطعة أو القبيلة التى كلفه الأمير بقيادة دائرتها.

كان للامير نوعان من الأختام بحجمين مختلفين ،أحدهما كبير الحجم " الطابع الكبير"مخصص لختم الظهائر المهمة مثل المنشورات التي تحمل تعيين الخلفاء، الاغوات،القادة والقضاة،الاعلانات المهمة والدعوة إلى الحرب (الجهاد)، كان قطره حوالي 57 سنتمتر. اما الختم الثاني فهو صغير الحجم "الطابع الصغير" خصص للإلغاء، الإبطال وللأعمال اليومية الاقل اهمية.

كان يسلم إلى موظف السلطة ختما فضيا دائري الشكل للخلفاء والآغوات والقادة، قطره حوالي ثلاثة سنتمترات وللقضاة آخر بيضوي الشكل . لم يكن للشيوخ أختاما.

لم يكن موظفي السلطة هؤلاء يستغنون عن اختامهم أبدا حيث كانوا يعلقونهم في اعناقهم بخيوط من حرير.

عند خلع موظفي السلطة أو القاضي،أووفاتهم ،يجب إعادة تسليم الختم الذي كان يعتبر مجسدا لتقلد المنصب، يحمل ختم موظف السلطة أو القاضي إسمه وإسم أبيه وكنيته، إذا ما كانت له كنية وكذا إسم الولاية والمقاطعة أو القبيلة التى كلفه الأمير بقيادة دائرتها.



ختم الأمير عبد القادر

SCEAU DE L'EMIR ABD-EL-KADER

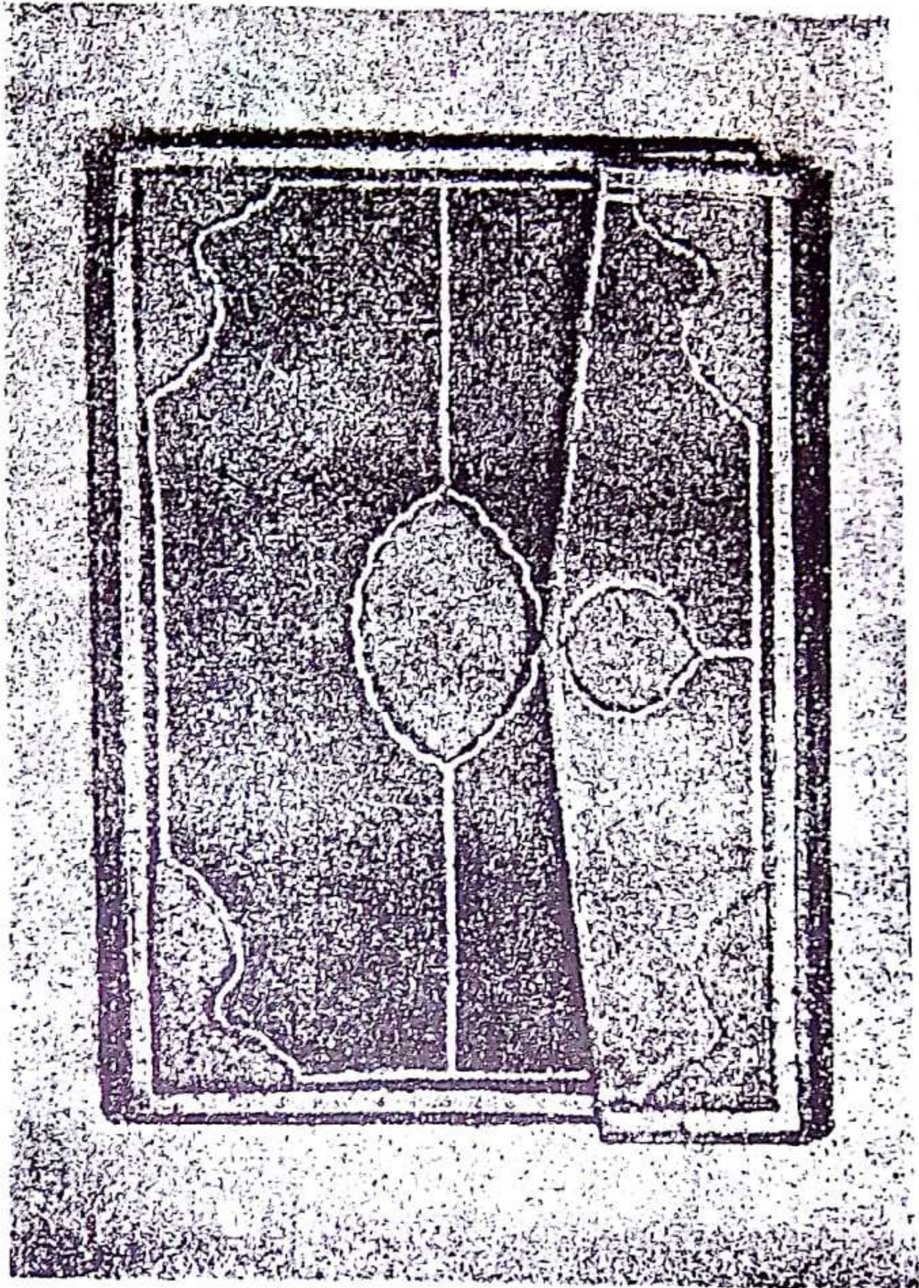
دما كان يعين الموظف في السلطة فإنه يستلم الختم الخاص به ويؤدي اليمين حسب جمع الحديث وصحيح البخاري". كان يقسم بأن يكون وفيا للأمير ولخدمة الشعب "كان يسمى ظهيرا كل أمر يصدر عن الأمير وله قوة القانون إذاما تم ختمه لأنه لم تكن هناك جريدة رسمية لينشر فيها.

لم يكن هذا الظهير يخص التعيينات فحسب وإنما الخطوط العريضة لمهمة الموظف والإشارات والمبادىء القرأنية التي كان يجب عليه إتباعها وغالبا ما تتضمن تحذيرات وعقوبات.

29-ممثلي الأمير الدبلوماسيين :

بعد إختتام معاهدة السلام الممضاة في سنة 1844 بين الأمير ودي ميشال قام الأمير بتعيين ممثلين في الجزائر ووهران وأرزيو ومستغانم والمدن الأربعة المحتلة من طرف الفرنسيون.

كلف هؤلاء الاعيان الاشبه بالقناصل بدور الوساطة بين الأمير والسلطات الفرنسية وان يسهروا على حسن تنفيذ المعاهدة ،خاصة فيما يتعلق بالصفقات التجارية بين المنطقتين.



أحد كتب الأمير

UN LIVRE DE L'EMIR

وكانوا على التوالي : المردخاي بن دران الحاج حبيب، محمد بن يحو، الاغا خليفة بن محمود .

كان الأمير يختار ممثليه من بين اليهود العارفين بالحيل الدبلوماسية والمتمكنين خاصة من اللغتين، كان يصادفه أن يعين اوروبيون أيضا. قد نذكر هنا واحدا منهم اسمه قرافيني[1] كان إيطاليا على الارجح والذي عينه الأمير من أجل تمثيله في مدينة الجزائر، لكن المارشال فالي صرح بأنه غير كفؤ لأنه كان يدافع عن مصالح الأمير .

كانت تلك الحكومة تطالب دائما بخلعه من مهامه دون جدوى . اول ممثل عينته فرنسا لدى الأمير سنة 1843 بمدينة معسكر هو القائد عبدالله ويسون[2]. كان في السابق مملوكا سوريا في خدمة فرنسا العسكرية بين قوات المشآة وكان رجلا وسيما مزينا زيه بالكامل بالاوسمة العسكرية، لبق الكلام، يتكلم لغة عربية مهذبة، لم يخدع بزيه الأنيق ولا بهيئته الثرية الأذكياء من العرب المتأملون الذين حكموا عليه منذ اتصالاته الاولى بالأمير وامناء الدولة الذين قام بزيارة مجاملة لهم.

---

(1) ذكر في تحفة الزائر بإسم "كازماني" يتعلق الأمر حتما بخطأ في الكتابة لأن جميع الكتاب الأوروبيون يتفقون على إسم "قرافيتي" الذي كان للولايات المتحدة الأميركية بالجزائر في نفس الوقت.

(2) يدعو المؤرخون عبد أسيونيا كان أحد المماليك الذين جاء بهم بونابرت، ورقه إلى درجة قائد مماليك الحرس الأميرالي.

في سنة 1837 تم تعيين القائد دي مونوفيل محافظا لدى الأمير، انتحر هذا القنصل بمعسكر بعدما قتل ترجمانه زتار . واستخلفه النقيب دوماس (المرقى إلى عميد) إلى غاية 16 اكتوبر 1839.

فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية مع سلطان المغرب الاقصى والذي كان يعتبره الأمير خليفة المغرب مثل ما كان يعتبر سلطان اسطنبول ممثل المشرق فقد كان غالبا ما يفوض الأمير بعض المبعوثين إلى العاهل المغربي الا انه لم يكن له ممثلين في فاس ولا في اسطنبول فعندما امضى المعاهدة مع دي ميشال ارسله الشريف إلى معسكر موفضية تحمل الأمير تهانيه ويهديه حمولات من الذخيرة .

كان الأمير متفوقا على اعدائه في الامور السياسية كما في الشؤون الدبلوماسية، بالرغم من انهم كانو يعتبرون سادة في الحيل والخدع لكنهم كانو متأرجحين بين الانقلابات والثورات والأنظمة المتناقظة وبين نظام برلماني غير مستقر .

كان متفوقا عليهم بقوة إيمانه وبوضعيته وبحسه السليم وبنفاذ بصيرته، كان يعرف كيف ومتى يغتنم الفرص ليستغل أبسط المشاكل والاحداث داخل البلد أو خارجه لخدمة مصالحه بشكل لا يصدق وليخيب بذلك امل اعدائه . كان على علم بادق الافكار من باريس وفي

مجالس أوروبا عن طريق الجرائد ومبعوثيه الذين كانو يتنقلون إلى الجزائر، وهران وطنجة .

نستوعب بصعوبة ان عددا من الضباط السامون : مارشالات، جنرالات، اميرالات، العقداء والثانويون كلهم متخرجون من مدارس عسكرية أو متعددة التقنيات الشهيرة أي انهم تحصلو على رتبهم عن طريق ممارسات أو خبرات لا مثيل لها، جميعهم قد تعرضوا لضربات الطالب القديم وفارس الايمان الذي كان يجهل جميع فنون الحرب التقليدية .الامر بسيط لم يزعم الأمير عبد القادر ابدا انه ينجز المعجزات فقد كان بمساعدة ذويه يكافح من أجل حرية وطنه كان يؤمن بدين مثالي كان يعرف الميدان معرفة جيدة وكان يسانده شعب يقوده بحكمة، بينما كان العدو بالرغم من نفوذه ومن قوة وسائله .يمتلك ضميرا سيئا بل ان بعض الجنرالات كانوا يتساءلون عن الذي جاء بهم إلى هذه الأرض. ولو لم يكن الواجب خضوعهم من دون قناعة لأوامر قادتهم الذين فرضوا عليهم القتال ،ماكانوا ليظلوافي بلد خطير لا يرحب بهم فالأمير لم يكن يفوت اية مناسبة ليذكرهم بأنه ليس هناك ما يفعلونه في بلدنا

يقول لنا "سان أرنو "في رسائله " كان العديد من الضباط السامون بمختلف رتبهم في الكتائب المتواجدة بافريقيا منذ زمن قريب يطالبون

بالدفاع لأنهم كانوا يشعرون بالاشمئزازوالخوف لرؤيتهم لمثل هذه الحرب تتطا ير فيها الرؤوس مثل الخنافيس لكن المارشال طردهم بلا رحمة "30جانفي1840

نبرر لنا تلك الاحداث سرعة تعاقب الجنرالات والحكام في الادارةالعسكرية والمدنية للمستعمرة والاخطاء التي ارتكبها أغلبهم سواء على المستوى الاداري أو النفسي

هناك اساطير قامت حول شخصية الأمير وافعاله، حركاته، وانجازاته البطولية لم يكن يؤمن بأي منها لكنه لم يفعل شيئا لرفضها أو لتكذيبها، لقد كانت تخدم سياسة كان يستغلها لصالحه أو ضد العدو .كان يخلق اساطير أخرى أو يقترح خلقها ليخدم بها قضيته. كان يضلل بذلك عدوه الذي كان يحاول عبثا تقليده.

30 -. سفر الأمير

لم يكن الأمير يسافر وحده أبدا قط بل كان يرافقه في ذلك حرسه الخاص السود والبعض من الامناء ما لم تكن الغاية من سفره لتحريك الجيش. عندما كان سفره ذو طابع رسمي كانت ترافقه كتيبة من الجيش يتقدمها عزف الموسيقى .وكانت تحميه المظلة رمز السيادة .لكنه لم يكن

يحب ذلك الموكب كانوا يصرخون بصوت واحد."يعيش سيدنا الأمير حاج عبد القادر أو نصر الله سيدنا السلطان (الأمير).

رغم تواضعه كان الأمير يسهر على احترام القواعد البروتوكولية كان يعتبر أن تلك الاخيرة ترفع من هيبة السلطان "الابهة" في نظر العرب . مسبوقا اومتبوعا بالاعيان، كان الأمير اذا ما دخل المدينة يأتي كل السكان لاستقباله ليتمنوا له عودة ميمونة كانوا يستقبلونه بباقات من الورود وبالهدايا ويقدمون له التمر والحليب كان يتوجه اولا إلى المسجد الكبير بالمدينة حيث يؤدي صلاته ومنه إلى القصر أو البيت المخصص له.

بعد وجبة صغيرة وقسط من الراحة ليبدأ باستقبال الاعيان ويوزع الصدقات ويقدم المساعدات ويستمع إلى الشكاوي، يصلح ذات البين بين الاعراش المتنازعة.عندما ينتهي من حل أكبر المشاكل التي انتقل لاجلها يفتتح جلسة قضائية لحل الخلافات البسيطة، واقتراح الحلول. يستقبل منذ الايام الأولى بعد وصوله وفودا أتية من كل حدب وصوب لتعبر له عن ولاءها ولتعرض عليه رغباتها أو لتدفع ما عليها من الضرائب المتأخرة .

كان الأمير اذا ما فرغ من معالجة الشؤون المستعصية ولم يبق الا تسوية الأمور اليومية يتوجه إلى تقديم دروس في الفقه اوغيره في المسجد وتكون عادة بعد صلاة العصر حوالي الساعة الرابعة.

31 – جيش الأمير

كانت الدولة الجزائرية في عهد الأمير تعتمد كما رأينا سابقا على قوة الجيش الذي كانت مهمته طرد العدو والحفاظ على النظام الداخلي .كانت المؤسسات السياسية لهذه الدولة مجرد ملحقات للتنظيم العسكري الذي كان محكما وفعالا وكان بذلك الانسجام والتماسك يواجه أقوى جيش في العالم .كان وراء هذا الاخير هيبة كبيرة ومجدا حصل عليهما خلال حروب الثورة وحروب الامبراطورية.كان قد ضرب بالأنظمة الملكية والامبراطوريات عرض الحائط وكان يشتهر بأنه الجيش الذي لايقهر

كان على الأمير ان يقف ضد هذا الجيش بجيش آخر إن لم يكن أكثر قوة فعلى الأقل متاكفىء القوى والاً كان سينسف مثل خصلة قش في وقت قصير جدا. يكفيء أن نقول انه كان على الجنود الذين واجه بهم الأميرتلك القوة "المذهلة" مجابهته طوال خمسة عشرة سنة بوسائل أقل بكثير من وسائله. وتسببوا له في خسائر مادية وبشرية كثيرة جدا وذلك

ما جعل الأمير يشتهر بهيبته في تلك الفترة عبر العالم بأسره اين كان سلطان القسطنطينية والخديوي محمد علي ورؤساء دول اوروبا وامريكا يتكلمون عن الأمير باحترام واعجاب[1].

عندما تقلد الأمير الحكم كان لديه مسبقا بعض المفاهيم حول الاستراتيجية العسكرية للحرب، حرب المواقع وحرب العصابات وكان ملما ببعض أسس التنظيم العسكري فيبدوا انه عندما زار مصر اثناء الحج بمكة رفقة أبيه اهتم كثيرا بالجيش والادارة المصرية. فقد زار مع محمد علي المصالح الادارية وحضر مناورات عسكرية وكذلك عندما استلم الحكم لم يفاجأ أبدا فضلا لكونه شارك لمدة اشهر في عمليات عسكرية ضد قوات الجنرال بويير خصص له كارل ماركس مقالات في هيئة الحرب حيث كان الشعراء والكتاب يمدحون انجازاته اليقظة دائما وحسه القريب جدا من الواقع واستعابه الواسع الذي يصنع كرامته، لم يكن يتردد في الاستعلام عن الجميع ولديه بعد النظر الذي كان اي كائن من كان.

كان دائما يحفظ في فكره هذه الآية "وشاورهم في الامر" وهذه المقولة "ما خاب من استشار".

(1) بالرغم انه لم ينشا هيئة من النظاميين الا انه فكر في ذلك فور تقلده الحكم ونضجت الفكرة في ضوء حصاراته مع العدو بفضل روحه.

مباشرة بعد اداء يمين الولاء توافدت عليه حشود من متطوعي الجيش فتبنى نفس نظام الأ تراك وقبلهم بني زيان والأسر البربرية الحاكمة بل أن الهاشميون، وبنو عمر، والدوائر، والزمائل كانوا من بين قبائل المخزن الذين اعتادوا على التطوع بالجنود. لم يكن على الأمير سوى استخدامهم، فقبائلهم كانت دائما جاهزة مستعدة كعادتها، فقام الأمير إذن بأول عمليات تجنيد له من دون أية مصاعب الا انه كان لابد له من جيش نظامي قادر على مواجهة جيش محنك متمرس ومتحكم في الاستراتيجية.

كانت الدوائر والزمائل التي حطت رحالهاقريبا من نواحي وهران ترفض دفع الضرائب القانونية وكانوا قد احتموا بالفرنسيين لكن الأمير فرض عليهم الطاعة وفور عودته من تلك العملية العقابية جمع مجلسا يتكون من أمناء الدولة ومن أعيان الهاشميون واعلن عن نيته على تكوين جيش من الجنود النظاميون وكانت الموافقة بالاجماع. وامر بالاعلان عن هذا القرار في المساجد والاسواق والساحات العمومية داعين بذلك المتطوعين للقدوم إلى مدينة معسكر من أجل التجنيد .كان وقع هذا الخبر طيبا في أوساط السكان وجاء المتطوعون من جميع انحاء البلد وفتح سجلا . لقد اسعد هذا الخبر القبائل الذين كانوا يعتبرون الأمير حاكما حقيقيا كما زاد هذا

الفعل الذي جاء اثر خضوع قبائل (الجيش) المشتهرة بكبريائها واكتفائها من هيبة الأمير .

شكل هذا الاخير منذ بداية التجنيد ثلاثة فرق عسكرية : الخيالة أو الفرسان، الطوبجية أو المدفعيون، كان الجيش يضم 3000 جندي من المشاة (عسكري) و1000 فارس مساعد غير نظامي و2000 فارس نظامي، 500 جندي اسود (الوصفان) كانو يشكلون الحرس الخاص بالامير بقيادة الآغا سالم. كان عدد المدفعيين 240 رجل. كان هذا العدد تراجع إلى الستون بل ان كل تلك الاعداد كانت متغيرة حسب الظروف.

بالاضافة إلى الجيش النظامي كان الأمير يلجا دائما إلى استخدام الانصار أو الملحقون اذا اضطره الامر . في وقت كان يبادر إلى تعيين مقاتلين من القبائل الذين كانوا يحاربون في ميادين القتال المجاورة، يجند كل قائد عددامن الجنود المساعدين حسب ما تتطلبه ضرورة القتال ..

كانت تلك القوات تخضع لانضباط صارم جدا حيث كان قانون التعليمات العسكرية يطبق بطريقة عادلة على كامل الجيش النظامي، كان هذا الاخير مجبر على التدرب اليومي، كما يخضع لتقويم يومي صارم إلى جانب تقييم اسبوعي آخر كان يقوم به الأمير بشخصه.

32- تقييم الجيش وانضباطه :

كان جنود المشاة موزعون إلى كتائب تضم كل واحدة 1000 رجل بقيادة احد الاغوات كان اول القادة : قدور بن باهو، عبد القادر بن عزالدين، محمد بوشرمة، محمد بن سنوسي، سالم، احمد قدور ...الخ

أسندت قيادة المدفعية إلى الاغا محمد بن كوسكوسو، كانت كل فرقة من 100جندي تحت إمرة احد القياد وكل 50 بقيادة احد السياف وكل 20 بقيادة ضابط صف ويتكلف الشاوش بقيادة عشرة رجال أو ثلاثة عشر .

كان لكل كتيبة وقسم من مائة رجل كاتبا ويترأس هؤلاء الكتاب الباش الكاتب بالتسلسل الهرمي، كل فرقة من 100 جندي من المشاة، موزعة على ثلاثة اقسام، لكل قسمة خيمته، (المقسمة إلى حجرات) في كل خيمة[1] ثلاثة وثلاثون رجلا، يقودهم رئيس الخيمة ومساعده وكان لها كاتب.

اما المدفعيون فكانوا بقيادة الباش طبجي، كل قطعة من المدفعيات يستخدمها اثنتا عشرة مدفعيا ..

---

(1) كانت خيمة الرجال تدعى خبة كانت مصنوعة من النسيج وهي عند القوات الفرنسية (قيتون) وكانت تدعى كذلك خيمات المساعدين عرب المخزن اما خيمة الأمير فكانت تدعى " الوثاق"

كان أغا الجيش مجبرا على تقييمه كل سبت، كان على السياف ان يستعرض فرقته كل اثنين وخميس، كان على هذا (العريف) أن لا يركب الخيل اذ عليه ضبط مشية رجاله، مراقبتهم وتنظيمهم وتوجيههم إلى القتال بنظام، وتشجيعهم وأخيرا تقديم استعراض مثالي على التحمل.

كان يراقب الأسلحة ويقيمها وكان عليه أن يسهر على المؤونة ونقل الجرحى ودفن الموتى، كان على ضابط الصف ان يراقب رجاله كل يوم صباح ومساء باسمائهم حسب القائمة التي اوكلت إليه ويسجل حظورهم ثم يكتب تقريره اليومي ايضا، كان كل عصيان للقائد أو رفض الامتثال لأمر قضائي، لدعوى ما، لنداء رائد الطبل، أو أي رفض لتلبية الدعوة إلى القتال واي زي غير نظيف أو غير لائق أو النوم اثناء الحراسة، بيع أو فقدان الاسلحة اوالعدة كل ذلك كان يؤدي إلى عقوبة السجن أو تراجع في الرتب العسكرية إلى العقوبة الجسدية أو حتى إلى الاعدام حسب خطورة الفعل .

33- الزي العسكري

كانت تصنع من الصوف أو من الكتان حسب الرتب العسكرية، كان لون الصوف احمرافاتحا اواحمرا داكنا اواسودا. كانت بدلة الضباط

السامين من القماش الاحمر الفاتح .اما الضباط العاديون (السياف) فكانت بدلتهم من القماش الاحمر الداكن.

كان للكتاب ورواد الطبل (الطمبورجي) والبواقين (الطرمباطي) بدلة من الصوف الاحمر الداكن أيضا. اما زي المدفعي، والجندي، والرقيب، وضابط الصف، والعريف، والحارس، (الشاوش) والكاتب، فكان مصنوعا من الصوف الاسود.

كان الضباط العاديون يرتدون الزي الموحد المصنوع من الصوف بينما كان الفرسان بمختلف رتبهم يلبسون بدلات من الصوف الاحمر الغامق.

لم يكن بإمكان عناصر الجيش تغيير الزي العسكري الموحد مهما بلغ ثراء الجندي أو الضابط.

هذا الزي كان عبارة عن قميص من القماش وسروال من الصوف أو من القماش ،كان عريضا نوعا ما .

الغوليلة ،معطف مصنوع من القماش أومن الصوف.

الكبوط (معطف بغطاء الرأس)

الشاشية. قبعة

البلغة، (الحذاء)

الجوارب وهي مصنوعة من الصوف الخشن.

البرنوس وهو خاص بالفرسان.

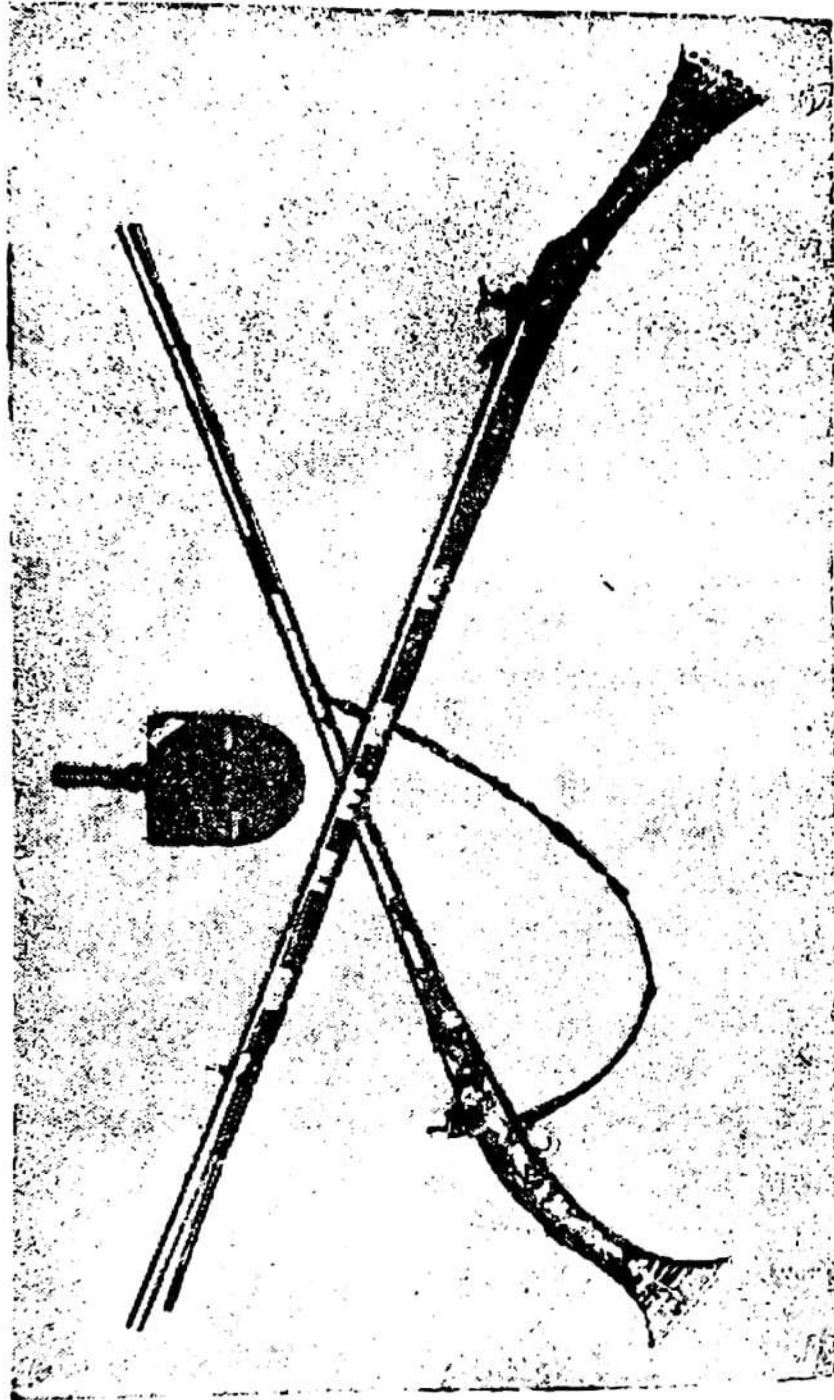
34- الاسلحة، العدة والأجور

كانت الاسلحة كالتالي: المدفع، المهراس أي الهاون المكحلة أو البندقية، السيف أو السكين،الحربة، أو السبادة، المحزمة اوالحزام أو البالاسكا، وللفارس البندقية والسيف الكبير المهماز، الجبارية (الحقيبة)، السماط، الخف، الطبانجا أو المسدس، الخنجر.

كان الزي العسكري والاسلحة والمعدات، إما يصنعون في ورشات الدولة ومصانع الدولة التي شيدها الأمير بمدينة معسكر وتاقدامت ومراكز اخرى، أو يستوردون من أوروبا.

يسير ورشات الاسلحة وملحقاتها وبيت المال أحد الموظفين السامون التابع مباشرة للامير.

أما البارود فكان يصنع محليا من الملح الصخري المستخرج من الارض.



بندقية وكيس لحفظ البارود

FUSILS ET SAC A POUDRE

بعض الأسلحة كان يؤتى بها من فرنسا خلال فترات الهدنة.وكانت المدافع تستورد جزئيا من انجلترا، ايطاليا وحتى من فرنسا.ففي الواقع لم تكن ورشات الدولة تسد حاجيات الحرب، لأن الأمير لم يكن لديه الوقت الكافي لتطوير مصانعه التي كان يسيرها فرنسيون فارون أو متعاونون،اغلبهم سكيرون ذوي نفوس خبيثة.

كان الجندي يحمل البردعة وهي كيس يضع فيه ملابسه ومعداته وكان يتقاضى أجرة نقدية وللفارس ضعفها، مؤونته شيء من طحين القمح والشعير أو بعض الخبز المصنوع من القمح والشعير، زيت، زبدة، سكر، شاي، قهوة، لحم خروف أو بقر أو عنز أو لحم الابل حسب الزمنة،الفصل أو حتى الامكانيات. قوته في بعض اوقات الحرب الصعبة ،القليل من كعك السنة أو عجينة يصنعها من طحين القمح المقلي (الروينة) أو شيئا من القمح المدروس المغلي في الماء (الشرشم).

تعليمات صارمة كانت تحدد كمية المؤونة المقدمة لكل مقاتل، جندي، فارس، ضابط أو ضابط سام.

35- الشارات

كان لعناصر الجيش رتب تعرف من خلال الشارات، كان للآغا أربعة شارات مصنوعة من خيط ذهبي اثنان على الاكمام، تحمل

بعض الاسلحة كان يؤتى بها من فرنسا خلال فترات الهدنة.وكانت المدافع تستورد جزئيا من انجلترا، ايطاليا وحتى من فرنسا.ففي الواقع لم تكن ورشات الدولة تسد حاجيات الحرب، لأن الأمير لم يكن لديه الوقت الكافي لتطوير مصانعه التي كان يسيرها فرنسيون فارون أو متعاونون،اغلبهم سكيرون ذوي نفوس خبيثة.

كان الجندي يحمل البردعة وهي كيس يضع فيه ملابسه ومعداته وكان يتقاضى أجرة نقدية وللفارس ضعفها، مؤونته شيء من طحين القمح والشعير أو بعض الخبز المصنوع من القمح والشعير، زيت، زبدة، سكر، شاي، قهوة، لحم خروف أو بقر أو عنز أو لحم الابل حسب الرتبة،الفصل أو حتى الامكانيات. قوته في بعض اوقات الحرب الصعبة ،القليل من كعك البشنة أو عجينة يصنعها من طحين القمح المقلي (الروينة) أو شيئا من القمح المدروس المغلي في الماء (الشرشم).

تعليمات صارمة كانت تحدد كمية المؤونة المقدمة لكل مقاتل، جندي، فارس، ضابط أو ضابط سام.

35– الشارات

كان لعناصر الجيش رتب تعرف من خلال الشارات، كان للآغا أربعة شارات مصنوعة من خيط ذهبي اثنتان على الاكمام، تحمل

إحداهما عبارة "اشهد ان لا اله إلا الله وان محمد رسول الله" والاخرى مطرزة بعبارة " الصبر مفتاح الجنة". اما الاثنتان الاخريان فكانتا في شكل قوس ملصقتان على الصدر، واحدة في الجهة اليمنى عليها عبارة "لا اله إلا الله" وعلى الاخرى طرزت عبارة "محمد رسول الله ﷺ."

لرئيس الفرسان شارتان ذهبيتان، احداهما على الكم الايمن، عليها جملة " الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "و الاخرى مثبتة على الصدرو عليها عبارة "محمد رسول الله ﷺ."

اما السياف فكانت له شارتان فضيتان في شكل سيف ثبتت كل واحدة على احد الكمين، تحمل الشارة اليمنى عبارة لا خير الا في الايمان والشجاعة "وطرزت اليسرى بجملة" لايجلب الضرر غير العصيان وعدم الانضباط".

شارة قائد المائة فارس كانت تحمل عبارة "ايها المقاتل تحمل تنتصر"

كان ضابط الصف يعرف من خلال شارتيه ،واحدة على الكم الايمن بعبارة "من يطع قائده ويخشى الله يحقق مطلبه وامنيته" وشريط مساعده كان من الصوف الاحمر مثبتا على ذراعه الايمن ،و لرئيس الكتاب شريط فضي بعبارة "ناصر الدين".

اما رئيس المدفعيين فكان يحمل على ذراعه الايمن شارة فضية عليها الاية" وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى".

36– التدريب العسكري

كان الجندي ،مهما كان نوع سلاحه ،يتلقى تدريبات صارمة قبل تجنيده بصفة نهائية قد تدوم لعدة اشهر أو ربما أكثر ،حسب مدى قابليته للتجنيد فكان يتدرب على استعمال البندقية، المبارزة ،المشي،التمارين الجسدية والتحكم بأسلحة اخرى. كانت التدريبات النظرية باللغة العربية.

يعين الأمير مدربين متمكنين في فنون القتال بجميع انواع الاسلحة من أجل تدريب الجنود على التحكم بها.وأول من نظم كتائب المشاة أحد الالمانيين الفارين من فيلق اجنبي.

كان هناك معلمون تونسيون من الجيش النظامي وحتى آخرون فرنسيون ارسلهم كلوزيل، وكان للتدريبات والمناورات والتقييمات أياما وساعات محددة. يكافؤ العناصر الذين يتحسنون بسرعة خلال تدريبهم العسكري بينما يعاقب الجنود المتهاونون. فاستعمال الأسلحة بحذاقة والتفاني في الخدمة وتقديم المساعدة لاخوة القتال، كان يقابل بالمدح والتقدير وتعليق الأوسمة بيد الأمير شخصيا. (الشياع)، بل وكان يقدم لهم مكافآت مالية أيضا.

يستلم كل من اصيب بجروح خطيرة أو فقد صلاحيته معاشا عسكريا دائما أو مؤقتا حسب خطورة مرضه. اما الجندي الذي اصيب اثناء الخدمة بمرض يمنعه من القتال فكان يتلقى نصف اجرته وفقا لقرار الطبيب العسكري الذي يعالجه،بينما يتلقى المقاتلون المستشهدون في معركة الشرف فيسدى لهم اوسمة وتتلقى عائلاتهم معاشات دائمة .الغي تطبيق هذه التعليمات منذ سنة 1843 عندما شتت مدينة الزمالة .

37– تعليق الأوسمة

تعليق الهياجين "الشيع" كان حدثا رسميا حيث يحضره الأمير نفسه على أنغام الفرقة وكان يسمى الامر بتعليق الوسام / الشيع، الريشة .يستحقها كل من تميزوا في التحكم بأسلحتهم (استعمال السلاح بنجاح) بانجازاتهم بتفوقاتهم البطولية، واذا كان الأمير يكافأهم، الريشة هي قطعة سلاح فضية نحتت عليها ثلاث، خمس أو سبع ريشات حسب صف الوسام المسند، كانت تلك القطعة تثبت على القبعة أو الشاشية أو القنور من وبر الابل صاحبها بسلسلتين فضيتين صغيرتين مدبستين الواحدة على الاخرى وعلى القطعة نحت اسم ناصر الدين، كان هناك وسام اخر. وهو وسام اليد الذهبية أو الفضية التي نحت في وسطها ايضا عبارة نا صر الدين يتلقى صاحب هذا الوسام راتبا قدره 20 ريال.

38- السيوانة والعلم

كانت السيوانة هي رمز السيادة، يرفعها احد الجنود عندما ينتقل الأمير على ظهر الجياد أو يحملها احد الجنود المشاة اذا ما تنقل مشيا على الاقدام.

اما العلَم فكان عبارة عن ثلاثة اشرطة عريضة من الحرير محاطة أفقيا ومثبتة بمسامير على لوحة خشبية، شريطان اخضران يتوسطهما شريط ابيض طرزت في وسطه بالخيط الذهبي عبارة "نصر من الله وفرج قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين " في شكل دائري .

وفي الوسط طرزت بخيط ذهبي يد في شكلها العادي الكامل

كان حامل الراية يسمى "علمي" وحاملي الراية "علميين" ورئيسهم "الباش علم".

1- الاستراتيجية العسكرية للامير

كان الأمير **عارفا** في الاستراتيجية العسكرية خاصة بحرب العصابات، كان لديه حسا عميقا بقواعد الحرب، الخداع، الحيل التي اوقع فيها العدو لفترة طويلة جدا.

لكنه مع ذلك كان يحاول قدر الامكان ان يجعل الحرب اكثر انسانية بل انه سعى دائما لتفاديها . وكان يبذل قصارى جهده من أجل تمديد فترة الهدنة التي كان يعقدها مع العدو ولكن هذا الاخير كانت تفرض عليه الحرب من أجل اضعافه

لم يكن الأمير يستعرض مقاتليه من دون ان تستدعه الضرورة لذلك وما كان يدرسهم الا بحرص شديد وعندما تكون فرص النجاح كبيرة جدا، كان يتفوق على العدو لمعرفته الكاملة بأرض الميدان وبفضل تنقلاته السريعة، مرونة قواته، خدمة المعلومات والمعلومات العكسية، نحو الساحات الاكثر ملائمة لجيشه .

كانت حرب العصابات هي استراتيجية الأمير في الحرب، فقواته كانت تتجنب مواجهة الجيش الفرنسي وجها لوجه بدلا من حرب المواقع التي كانت تسعى اليها هذه الاخيرة.

في معظم الاحيان كانت قوات الأمير المقسمة إلى فرق صغيرة متجولة تتشابك مع العدو بشكل مفاجيء وكانت تهزمها في كل مرة هزيمة شنعاء .لكن العدو كان يعود لينتقم من القبائل التي كانت تساعد الأمير بالمعلومات عن سير المشاة والوحدات

1) عندما كان العدو يواجه أو يحاصر قوات الأمير بغتة ، كانت هذه الأخيرة مجبرة على الدخول في المعركة. كان الجنود الجزائريون أنذاك يقاتلون قتال الاسود ربما كانوا يتعرضون لبعض الخسائر لكنهم كانوا يسببون خسائرا اكثر خطورة للعدو .

2) عندما كانت الظروف تسمح للأمير بالخوض في القتال مع فرص كبيرة للنجاح.

غير ان حرب العصابات كانت في أغلب الاحيان وسيلة ترعب قوات الاحتلال وتتسبب لهم في خسائر وإضعاف نفوسهم، كانت مرونة الوحدات الجزائرية تظلل العدو الذي عجز رغم تفوق قواته عن محاصرة المقاتلين الجزائريين.

كتب مرة ميلود بن عراش وزير الشؤون الخارجية للأميرعرضا إلى الجنرال دي ميشال يشرح له فيه طريقة قتال قوات الأمير وكان ذلك بمناسبة امضاء معاهدة دي ميشال بتاريخ 28 فيفري 1834. هذا الضابط السامي الفرنسي الذي طلب بنفسه توقيف العداء قال لمفوضنا الجزائري اذن: "كنت قد قررت قبل امضاء هذا الاتفاق ان اطلب من حكومتنا ان تعزز قواتنا بـ10000 مقاتل كنت سأغادر هذه المدينة وهران من أجل قتالكم لمدة شهر .تصوروا الحرب التي كنت سأخوضها ضدكم .... كنت سأقضي على قواتكم في وقت قصير".

رد عليه بن عراش على الفور قائلا :

"نعم، العرب لا يحتقرون قواتكم .نحن لن نواجهكم في معارك منظمة وعادية لكن في هجوم حرب عصابات شرسة، لو أنكم نفذتم ما تهددون بفعله لقمنا بالانسحاب قبلكم ولتوغلنا في قلب الصحراء مع عائلاتنا وامتعتنا وأثناء زحفنا إلى الوراء نقوم بترهيبكم عن طريق هجماتنا السريعة إلى ان تتوقفوا عن ملاحقتنا .

عند ذلك نهاجمكم حتى نضعف قواكم وكلما اتيحت لنا الفرصة، نضطركم إلى التغلغل في الصحراء الشاسعة وسنحتفظ بامتياز العودة إلى مهاجمتكم ونحاصركم بقواتنا من كل الجهات ونستضعف قواكم\ وسيتعرض جنودكم إلى العياء الشديد، وسوف يرهقون نفسيا ماذا ستفعلون أنذاك ايها الجنرال ؟"[1]

كانت هذه الخطة تظلل العدو الذي لم يتوقف منذ 1830 الى غاية سنة 1847 عن تغيير جنرالا ته باستمرار حيث كان قادة الجيش والحكام يتعاقبون بسرعة مذهلة .

واجه عبد القادر، بدءا من سنة 1841، خصما من العيار الثقيل وهو الوحيد الذي له الوزن لمواجهته ألا وهو "بيجو"، وقد استغرق هذا

(1) تحفة زائر ج1 ص116.

الأخير ست سنوات للقضاء على الأمير، بالرغم من عبقريته العسكرية وعتاده الهائل وشراسة لا مثيل لها، جعلت من حرب الجزائر حرب إبادةٍ، لا تضاهيها إلا ثورة 1954. اعتمد الأمير عبد القادر في نهاية مقاومته على الطريقة القتالية لـ"يوغرطة"، متجنبا المعارك المباشرة ومنهكا العدو بالهجمات المباغتة وبحرب العصابات.

كان "بيجو" يقود أكثر من 120.000 جنديا فرنسيا سنة 1846، بدون احتساب فيالق الأهالي والموالين، في حين لم يكن لعبد القادر سوى بعض المخلصين الأشاوس[1]

2- مُعسكر الأمير

عندما يكون الأمير في حملة مع جيشه، يعسكر بطريقة جد منظمة، متبعا قواعدَ رسمية صارمة ومواقع ثابتة. كان المعسكر مدينة حقيقية يقطنها حوالي 15.000 رجلاً، وتضم 12.000 فرسٍ و1.000 جملٍ و1.000 من البغال والحمير والخيل[2].

---

(1) عرف الجيش الفرنسي المتجدد بصفة مستمرة، خسائر بشرية كبيرة، فبالإضافة للحرب، ساهم المناخ والأمراض وأوبئة الكوليرا والتيفوئيد والزُحار في القضاء على الجيش، وقد سُجِّلت في النصف الثاني من سنة 1840 أكثر من 8.000 حالة وفاة و114.000 حالة استشفاء، مقابل 67.000 في سنة 1839.

(2) يسمى "الخزناجي" من يقود مجموعة البغال، ويسمى رئيسهم "الباش خزناجي"، ويسمى قائد الجمال "الدواجي. ج. الدواجية"، ويسمى من يعتني بالخيل "السايس"، ويسمى المكلفون بالمؤونة "الكمانجية".

يستجيب استقرار الجيش في مكان ما لشروط محددة كالأمن والقرب من الماء والمراعي بشكل كافٍ، والقرب من سكان يملكون ما يكفي من المواشي والغذاء. لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يكون المعسكر على مرأى أو مرمى العدو، كما يجب ارتقاب مسلك سريع للهروب وأيضا مواقع إستراتيجية لمقاتلة العدو على الموقع.

يكون المعسكر في شكل دائري ويتكون من مجموعة خيم من الكتان الابيض تسمى "الخبة" و"القيطون. ج. قياطنة" متساوية الحجم، تضم كل واحدة 33 رجلاً، ويفصل بينها مسلك يتسع لمرور المشاة والخيالة والمدفعيون وعتادهم، يتجه مدخل المعسكر نحو الشرق ويحرسه مدفعان ذوي عيار كبير، الخيمتان اللتان تشكلان المدخل يشغل إحداهما قائد المدفعية ويشغل الأخرى فرقة من الأطباء تحت قيادة رئيس الجراحين. غالب الأمر، نجد في وسط المعسكر خيمة الأمير والتي تسمى "الوثاق" وتكون كبيرة طولها 15 متر وعرضها حوالي 6 أمتار، من الكتان الابيض وداخلها مبطن من الحرير متعدد الالوان، وارضيتها مفروشة بزرابى من الصوف (القطايف). يستند شراع الخيمة في وسطه على ثلاثة أوتاد متباعدة عن بعضها البعض، ويجلس الأمير، على طول الخط الذي تشكله تلك الأوتاد، في قعدة تركية على بساط مطوي، متكأ على الوتد الموجود في الوسط قبالة مدخل الخيمة، وبقربه صندوقين

معدنيين يحوي أحدهما أوراقه ويحوي الاخر المال المخصص للهبات ومختلف المصاريف.

يخفي ستار مدخل الخيمة، ويقف أمامه حارسان أسودين، جزء من الخيمة مخصص لوضوء الأمير وصلاته وايضا لمحادثاته السرية مع معاونيه، يوجد هذا الفضاء بين خيمة الأمير وخيمة أخرى أكبر منها تغطيها، وفي ذلك الفضاء يستريح الحراس السود في انتظار استخلاف زملائهم في الخدمة. على بعد حوالي 6 أمتار من مدخل الخيمة نجد ست رايات ترافق الأمير باستمرار، وبعيدا عنها نجد مربط خيل الأمير. توجد خلف "الوثاق" الخيم التي تحوي الأسلحة والذخيرة والعتاد والأسرجة وكل املاك الدولة ما عدا المال الذي يكون بحوزة الأمير، وهناك خيم اخرى مجاورة تحوي الغذاء والمؤونة وغير بعيد عنها نجد مربط الاحصنة والجمال والبغال والحمير.

عندما يعقد الأمير جلساته، يجلس معاونيه المقربين حوله، في قعدة تركية، منظمين حسب رتبتهم المدنية أو العسكرية، وخلال هذه الجلسات يعم الانضباط التام، ولا يرفع الموظفون أصواتهم ولا يتكلمون في الوقت نفسه أو بدون إذن الأمير الذي يعطي إشارات مميزة بعينيه للحاجب الذي يسهر على احترام القواعد الرسمية.



المارشال بيجو

LE MARECHAL BUGEAUD

خلف هؤلاء الشخصيات يقف ثلاثون حارسا أسودا "الوصفان" كبار القامة، لباسهم مكون من سترة حمراء وبنطال أزرق وحايك من الصوف الأبيض مربوط إلى رؤوسهم بخيط من شعر الجمل، وبرنوسين واحد أبيض والآخر أسود، ومسلحين بمسدس وبندقية وسيف.

إذا استدعى الأمير أحد وزراءه للتحادث معه في أمور هامة، يقترب الوزير من الأمير ويتكلم معه باحترام وبصوت منخفض، وحين يتلقى تعليماته ينصرف إلى مكانه وهو يمشي إلى الخلف. تقع خيم وزراء الدولة والخلفاء والآغات والقياد وقائد الجيوش وأميني الخزينة "الخزندار"، على يمين وعلى شمال خيمة الأمير، وعندما يكون هؤلاء الموظفون السامون في اجتماع مع الأمير يجلسون حوله منظمين حسب رتبهم.

نجد في كل جهة من المعسكر، التجار وأصحاب المقاهي والحلاقين ... الخ، عندما يحين وقت الصلاة، التي يؤمها الأمير وخاصة صلاة الجمعة، يذهب الجميع إلى الصلاة ويتركون الخيم مفتوحة والبضائع مكشوفة وبدون أي حارس، سوى الحراس الموجودين في الخدمة.

كان الأمير يعقد جلساته من الساعة الثامنة صباحا إلى منتصف النهار، ثم يتغذى بعد صلاة الظهر وينام لمدة ساعة، ثم يعقد جلساته من جديد إلى صلاة العصر، وبعد الصلاة يقوم الموسيقيون بعزف نوبات أندلسية، وبعدها يهتف الحراس قائلين "نصر الله ناصر الدين وأطال

عمره". بعد صلاة العشاء تُعزف الموسيقى من جديد[1]، ثم يضرب حظر التجول ويغلق المخيم إلى الفجر، لا يخرج أي أحد منه ولا يدخل إليه بدون إذن الأمير تحت طائلة القتل.

3- نقل المعسكر :

تعطى إشارة الانطلاق بدون سابق إنذار وفي الصباح الباكر بعد صلاة الفجر، إذ لم يكن أي أحد على علم بانتقال المعسكر قبل ذلك الحين.

يضرب الخزندار طلقتي مدفع تفرق بينهما بضع دقائق، ثم يقوم "الفراقة" بتفكيك الخيم وطي الأمتعة وتحميل الحيوانات وتسريج الخيل والبغال، كل ذلك في وقت قصير وفي انضباط تام، في حين يجتمع الأمير مع قادة الأركان ويعطيهم تعليمات عن غاية الانتقال.

عندما يستعد الجيش للتحرك يُعلِم الخزندار الأمير الذي يكون آخر من يمتطي جواده، وتعزف نغمة الانطلاق وتشرع الفرقة في المشي بشكل عسكري في نظام وانضباط متبعين ترتيبا صارما.

---

(1) آلات العزف هي الطبل والمزمار والبوق.
كانت خيول الأمير مدربة للرقص حينما تسمع صوت الموسيقى وتضرب بحوافرها على وقع النغمات، وكان العرب يؤدون موسيقاهم بولعهم المعروف وهي موجهة، حسبما يقولون، إلى القبائل.
فكان الطبل يقول : الدراهم، الدراهم، الدراهم، فيجيبه الطبل الكبير، محرجا : منين؟ منين؟ منين؟
فتقول النقارية : دبّر، دبّر، دبّر.

عندما يصلون إلى مكان الإقامة الجديد يقوم الخزندار بضرب المعسكر في النظام الذي وصفناه سابقا، وباستقرار كل واحد في مكانه يعلم الخزندار الأمير الذي يكون آخر من يدخل خيمته، منتظرا مع حراسه وخلفاءه في مكان بعيد عن المعسكر إلى حين أن يوضع كل شيء في مكانه، وبإشارة الخزندار يدخل الأمير إلى المخيم في موكب على أنغام الموسيقى التي تعلن الوصول، وفور دخوله الخيمة تطلق ثلاث ضربات مدفعية.

1- أسباب ضعف قوة الأمير :

أكثر من 15 سنة استغرقها عدة جنرالات وجيش احتلال قوي جدا ومجهز وممون بشكل جيد، مدعمين بجيش من الجواسيس وحرب بسيكولوجية، لإضعاف شراسة الأمير الذي كان سنة 1847 قادرا على مواصلة القتال، ولكنه لاقى مطاردة من طرف أشقاءه وإخوانه في الدين.

لقد مر الأمير منذ 1833 باوقات عصيبة بعد العصيان الذي قامت به قبائل بني عامر والدواير والزمول، ولكنه قضى عليها في وقت قصير. كما واجه نكبة بتاريخ 29 ديسمبر 1836 حينما سقطت معسكر في يد الجيش بقيادة "كلوزيل" ثم خرج منها بعد وقت قصير، في حين تمرد بنو

هاشم إخوان الأمير ونهبوا المدينة، ولما عاد إليها عبد القادر بعد أن استرجعها، اجتمع مع أعيانها وخطب فيهم قائلا :

"أود لو تعفوني من العبء الذي يثقل كاهلي، فأنا لم أتحمل هذه المسؤولية إلا من باب القيام بواجبي الديني إلى غاية اليوم، أود لو تختاروا زعيما آخر لكم يستخلفني، وانسحب أنا وعائلتي إلى المغرب". لكن بنو هاشم توسلوه في البقاء على رأسهم، وبايعوا له الولاء.

2- انحلال الدولة :

باءت كل خطط القادة الفرنسيين بالفشل، إلى غاية 1841 حيث شرع "بيجو"، الذي لم يستطع القضاء على الأمير عسكريا ولا الحط من مقامه السياسي، في تنفيذ خطة جديدة تكمن في التقليل من شعبية الأمير من خلال الوازع الديني، الذي ظهرت فعاليته شيئا فشيئا، بالإضافة إلى سياسة الأرض المحروقة التي مارسها كل القادة بدون رحمة، قائلين لقادة الجيش "مهمتكم في منطقتكم هي منع العرب من البذر والحصاد والرعي".

شهد عبد القادر، الذي كان مطاردا بدون هوادة من طرف عدو شرس في كل المناطق التي كان يعتمد عليها في عملياته، سقوط زْمَالته التي كانت بمثابة مدينة متنقلة يعيش فيها عائلته، فذهب إلى المغرب محبطا، وطلب اللجوء من السلطان مولاي عبد الرحمان، الذي قابله بالرفض لا بل ثار ضده، فقد كان هو الآخر خائفا من وحشية

الفرنسيين بعد أن هزم في إيسلي، على بعد بضع كيلومترات عن وجدة، وحاصرته البحرية الفرنسية في طنجة وفي موغادور، فخاف أن تصبح مملكته "الإيالة السعيدة" لقمة سائغة في فم الفرنسيين، بعد أن ضعفت جرّاء التمزقات الداخلية التي كان للعدو يدا ضليعة فيها.

في سنة 1831 قام مولاي عبد الرحمان، للأسباب التي ذكرناها، بسحب جنوده من تلمسان واستدعى قريبه مولاي علي بن سليمان، وعين عاملا آخر مكانه في معسكر كان مساعده الحاج المرسلي ومصطفى بن اسماعيل، الجوّاد المتعجرف[1] سليل بني مهّل، وآغا على زمول ودواير وهران.

---

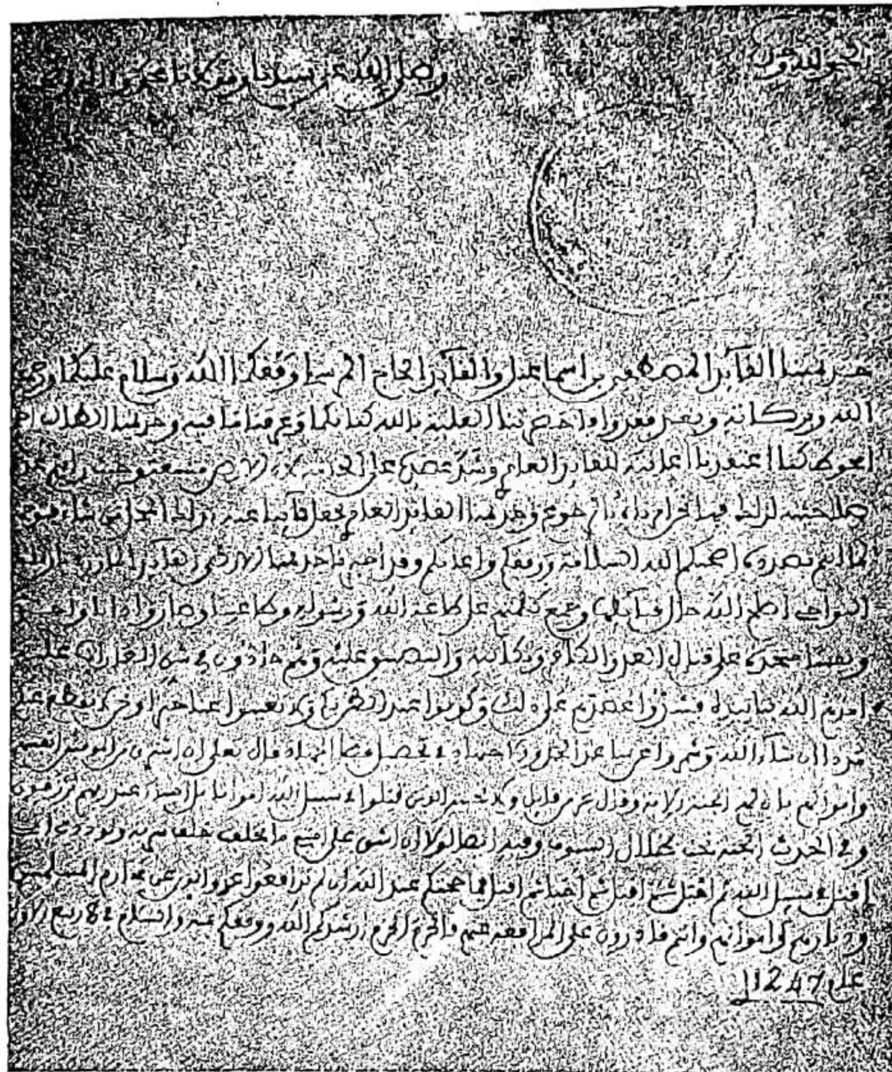
(1) كان من بين العرب الهلاليين وفرقهم عائلات من الجوّادة "النبلاء" والزواوا، هؤلاء الأخيرين هم خادمي الأوائل.
الجوّادة محاربون أشاوس، وكانوا حماة القبائل الصديقة والقوافل التي تكون تحت مزراقهم (حمايتهم)، ولم يكونوا يتراجعون أمام الخطر ولا ينسحبون من المعارك حتى ولو قتلوا عن آخرهم، فذلك عار يسمهم إلى آخر أيامهم ويذكره شعراء الملحون والنساء في شعرهم لدى كل القبائل. كانت خيم الجوّادة مفتوحة للجميع ولا ينطفئ موقدهم ولا تفرغ منازلهم.
الزواوا هم رجال أحرار ولكنهم في خدمة الجوّادة، لا يشاركون في الحروب ولم يكن يعتمد عليهم في ذلك مغبة غدرهم، فهم لا يخشون العار، ولو انسحبوا من المعركة لن يكون ذلك مفاجئا، فالجبن طبيعتهم.
الشرفا هم أحفاد النبي من فاطمة وعلي.
المرابطين ليسوا من الشرفا ولا من الجوّادة (و يمكن أن يكونوا منهم)، إنهم أهل الرباط وهي مدينة ومدرسة تلقن فيها القيم الإسلامية، وعلى الإخوان أن يكونوا مرسلين يمكن بعثهم إلى بقاع العالم لنشر تعاليم الدين وزرع الكلمة الطيبة حتى بين المسلمين، وإذا تطلب الأمر فبسطوة السيف. وقد نشأت سلالات حاكمة منهم كالمرافدين والسعديين والسنوسيين وآخرون.

كان السلطان قد صادق على تعيين سيدي محي الدين كخليفة على رأس بنو هاشم وبنو عامر والغرابة، وبصفته تلك حارب جيش الجنرال "بوير" على أبواب وهران. منذ تولي عبد القادر منصبه بدأت الصعوبات في الظهور، فلم يكن السلطان يستحسنه، فهيبة الأمير المتصاعدة كانت تلقي عليه بالظل، فهو من الإدريسيين وكما نعلم فأحفاد تلك السلالة ينوون منذ عهد مولاي سليمان استرجاع سلطتهم على المغرب، وكان الأمير ممثلا للقادرية وهم مناهضون للدركاوة المغاربة والتيجانية بعين ماضي الذين كان لهم نفوذا كبيرا في البلاد، لكن إصرار الأمير وبعد نظره عدّلوا الموقف وجعلوا من مولاي عبد الرحمان صديقا وفيا لم يتهاون في دعم الأمير إلى غاية 1844، غير أن حذق العدو والاعيبه عكّروا من صفو تلك العلاقة ابتداء من ذلك التاريخ.



مصطفى بن اسماعيل آغا الزمايل

Mustapha Ben Ismaël agha des Zmoul



Lettre du 8 Rabi I 1247 (17 août 1831) adressée par Moulay Abderrahmane, Sultan du Maroc aux caïds Mustapha ben Ismaël et El Hadj Morsli, les invitant à redoubler d'efforts pour combattre l'ennemi.

رسالة بتاريخ 8 ربيع الاول 1247 الموافق لـ (17 أوت 1831) من مولاي عبد الرحمن سلطان المغرب إلى القادة. مصطفى بن اسماعيل والحاج مرسلي يدعوهم على مضاعفة الجهود لمواجهة العدو.

3- سقوط الزمالة :

في سنة 1843، اكتسب العدو ثقة أكبر في نفسه وأصبح يتنقل بسهولة عبر كامل التراب الجزائري، مدعوما بقوة أسلحته والرعب الذي نشره والمال الذي يوزعه، ونظرا لقوته أصبح يتنقل بسرعة وبحرية وفي كل الاتجاهات، ويساعده في ذلك بعض الأهالي الذين كانوا على علم تام بخطط الأمير، ويبدو أن جيش الاحتلال لم يكن له هدف آخر سوى القضاء على مدينة الأمير المتنقلة (الزمالة)، وكان العدو على علم بأنها تحوي كل كنز المقاومة. كان مجموع الجواسيس المحيطين بجيش الأمير وعائلته يعلمون العدو بأصغر حركة يقوم بها الجزائريون. لكن الأمير كان مدركا حق الإدراك بالخطر الذي يحذق بالمدينة المتنقلة المعرضة للهجوم، وكان هذا التخوف في محله، ففي ربيع 1843 كان "دوق أومال" متواجدا في بوغار وكانت الزمالة تعسكر في الناظور لدى حرار الشراقة في المكان المسمى قوجيلة، لكن الأمير كان في سارسو يقاتل ببسالة جيوش الجنرال "لامورسيير"، الذي كان معسكِرا شرق مدينة معسكر ويقاتل في المنطقة إلى غاية تاقدمت.

بتاريخ 15 ماي 1843، ضربت الزمالة خيامها في تاقين، ولم يكن "دوق أومال" بعيدا عنها مع الآغا عمر بن فرحات من العيادة، الذي

أتى ذات صباح لإعلامه أن الدوار على مرأى من المعسكر الفرنسي، كانت مهمة هذا الخائن تَتَبُّع أثار الزمالة وتحركاتها إلى غاية أن رآها تعسكر في المنطقة، كما تم إعلام الجنرال يوسف المبارز المشهور، ايضا. قال الآغا أن المدينة المتنقلة تضم 60.000 نسمة أو أكثر، ونصح الجنرالات بالتريث والابتعاد لتفادي نكبة للجيش الفرنسي الذي لم تجتمع عناصره بعد، فكان "دوق أومال" يقود 2.000 من المشاة و500 خيّال و500 من الموالين على رأسهم الآغا عمر العيادي. كان الجنود السباهي يرتدون زي خيّالة الأمير من أجل إرباك الجزائريين. فور أن استلم العدو المعلومات حول موضع الزْمالة، عقد الأمير والجنرالات قادة الأركان الفرنسيين مجلس حرب سريع، كان الضباط السامين يشاطرون الآغا عمر رأيه، وكان هنالك فترة من التردد فلم يكونوا يرون بأنهم متأهبين لمواجهة جنود الأمير عبد القادر لأنهم كانوا يعتقدون أنه في الزْمالة وكانوا يخافون أن يمزقهم إربًا إرباً، لكن "دوق أومال" أصر على التقدم وتصدى لمعارضة الجنرالات وحتى الآغا عمر قائلا : "انا من سلالة لا تتراجع ابدا، ولن اكون مثالا على التواني".



الدوق دومال
LE DUC D'AUMALE

لقد اعطى ولي العرش امره وما عليهم سوى الانصياع، فوضع الجنرال يوسف في الوسط، وفي على الشمال، وموريس على اليمين، وصعد الجيش الهضبة التي تطل على الدوار، لما رأت النسوة الخيّالة من البعيد، ظنت انهم خيّالة الأمير فأطلقوا الزغاريد، فنخس الفرنسيون أحصنتهم وانطلقوا كالبرق على المدينة وضربوا الخيام كالرعد يقلبها، تخيلوا الاضطراب والفوضى وحالة الهلع، وسط صراخ النسوة والأطفال

والمرضى وبكائهم وأنينهم. لقد كانت نكبة بحق. وددت لو لم اتكلم عن تلك المساعدة الخائبة وتركت المؤرخين ينشدون كما عهدوا ذلك منذ قرابة القرن والربع، عملا عسكريا يدخل ضمن سياسة الارض المحروقة التي قادها الجنرالات، قد يمكن إدراجه ضمن عمليات تخريب المحاصيل وحرق الدواوير أو تدخين المغارات، ولكنه اكبر من أن يُسكت عنه ويجب أن يعرض في كل أبعاده.

ما عسى بعض الحماة الذين كانوا في المعسكر أن يفعلوا، فقد تم تمزيقهم قبل حتى أن يطلقوا رصاصة مخافة أن يقتلوا أصحابهم؟ على الساعة الرابعة زوالا، كانت الفوضى عارمة، ومشهد نزوح ما بين 50.000 إلى 60.000 شخصا كان مأساويا تلذذ برؤيته ولي العهد والجنرالات. إليكم ما يرويه لنا مؤلف "تحفة الزائر" عن هذا الحدث التاريخي : "كان في زْمالة الأمير ذلك اليوم 500 جندي بأسلحة خفيفة، وخدعوا بحيلة ابن الملك (دوق أومال) التي عرضها عليه الخائن عمر العيادي وهي أن يلبس الخيّالة بزي يشبه زي خيّالة الأمير عبد القادر، ولما اقتربوا من الزمالة ظن أهلها أنهم طليعة الخيّالة الوطنية فخرجوا يرحبون بهم ويهللون لهم، وما أن اقترب العدو حتى تفطن أصحاب الأمير للحيلة فحاولوا مواجهتم لكن الأوان قد فات، وصمدوا لمدة ساعة ثم هجم عليهم العدو من شتى الجوانب ودخل إلى الديار وقتل

والمرضى وبكائهم وأنينهم. لقد كانت نكبة بحق. وددت لو لم اتكلم عن تلك المساعدة الخائبة وتركت المؤرخين ينشدون كما عهدوا ذلك منذ قرابة القرن والربع، عملا عسكريا يدخل ضمن سياسة الارض المحروقة التي قادها الجنرالات، قد يمكن إدراجه ضمن عمليات تخريب المحاصيل وحرق الدواوير أو تدخين المغارات، ولكنه اكبر من أن يُسكت عنه ويجب أن يعرض في كل أبعاده.

ما عسى بعض الحماة الذين كانوا في المعسكر أن يفعلوا، فقد تم تمزيقهم قبل حتى أن يطلقوا رصاصة مخافة أن يقتلوا أصحابهم؟ على الساعة الرابعة زوالا، كانت الفوضى عارمة، ومشهد نزوح ما بين 50.000 إلى 60.000 شخصا كان مأساويا تلذذ برؤيته ولي العهد والجنرالات. إليكم ما يرويه لنا مؤلف "تحفة الزائر" عن هذا الحدث التاريخي : "كان في زْمالة الأمير ذلك اليوم 500 جندي بأسلحة خفيفة، وخدعوا بحيلة ابن الملك (دوق أومال) التي عرضها عليه الخائن عمر العيادي وهي أن يلبس الخيّالة بزي يشبه زي خيّالة الأمير عبد القادر، ولما اقتربوا من الزمالة ظن أهلها أنهم طليعة الخيّالة الوطنية فخرجوا يرحبون بهم ويهللون لهم، وما أن اقترب العدو حتى تفطن أصحاب الأمير للحيلة فحاولوا مواجهتم لكن الأوان قد فات، وصمدوا لمدة ساعة ثم هجم عليهم العدو من شتى الجوانب ودخل إلى الديار وقتل

ونهب وقام بشتى الجرائم التي لا يقوم بها سوى عدو في حق خصمه المغلوب، وهرب الناس نحو الوديان والهضاب. هذه العملية هي في الحقيقة من أبشع العمليات التي قد يذكرها عقل الإنسان ويعبر عنها لسانه، ولهذا يقول المؤرخون أنها كنت موضوع لوحات زيتية"[1].

استولى العدو على أثمن ما وجده من وثائق ومبالغ مالية ولآلئ وألماس لا تقدر بثمن، وعتاد حربي ومجوهرات ومكتبة الأمير التي تقدر بـ 5.000 كتاب، وذهب يعادل مليار فرنك قديم، تقاسمها الجنود فيما بينهم. وأسر 3.000 شخص من نساء وأطفال وشيوخ من أهل الأمير وخلفاءه وأمناءه.

عملية الاستيلاء على الزْمالة التي حاول الفرنسيون آنذاك تكبير حجمها وجعلها عملا بطوليا ينشده الأجيال، كانت في الحقيقة عملا عسكريا من الدرجة الثانية، وهي أقل مقاما من إسقاط مدينة محصنة ومستعدة للقتال تمت محاصرتها حسب قواعد الحرب، غير أنه كان من الضروري مدح الدوق الشاب ومحاسن طموحه الشبابي المتوهج، غداة هذه العملية بدون مجد، كان دوق يتأمل من مدخل "وثاق"[1] الأمير الخراب الذي أنتجه والغنائم التي حازها البارحة على حساب النساء

(1) تحفة الزائر ج.1- ص. 279-280

(1) الخيمة.

والأطفال. تذكرنا هذه العملية بما قامت به مجموعة صغيرة من جنود الأمير عبد القادر حين أحضرت إليه في أحد الأيام نسوة فرنسيات أسيرات، فكان رد الأمير روحيا وسريعا وقال لجنوده الشجعان : "يا له من إقدام ! لقد أحضرتم لي أسودا حية تجرونها من أذنابها" وضحك ضحكة عميقة ثم أمر جنوده بأن يرجعوا النسوة إلى أزواجهن.

عملية إسقاط الزْمالة أعطت للدوق وللجيش الفرنسي نفوذا كبيرا على القبائل وهزت من نفوذ الأمير وهيبته.

بعد ثلاثة أيام وصل الخبر الفاجعة إلى الأمير، الذي كان في سارسو، وكان اثر ذلك عليه عميقا لكنه لم يترك ذلك يثبط من إقدامه بالرغم من هول الفاجعة التي أفقدته عاصمته الأخيرة والخزينة العمومية وأسلحته وثروة الدولة وهيئاته كلها. عندما شاع الخبر ذهب الجنود إلى خيمة الأمير للاستفسار عن مصير عائلاتهم، في مثل هذا الموقف لا بد من رجل ذو شخصية قوية مثل الأمير من أجل مواجهة هؤلاء المقاتلين الذين تظهر تلمع نظراتهم نارا ويظهر فيهم الأسف لأنهم لم يكونوا على ميدان الوغى. لقد رأوا إلى أي مدى وصلت جبانة العدو بهجومه على أشخاص بدون دفاع، فلم يكونوا أبدا ليقوموا بمثل تلك الفعلة، حتى وإن ماتوا عن آخرهم. لكن كلمات الأمير الدافئة والباعثة للطمأنينة أبردت من نارهم، فقد قال لجنوده برواقية : "الحمد لله ! كان هنالك

أشخاص تعلقت قلوبنا بهم وكانوا يعرقلون قيامنا بأعمال بقيت في قلوبنا، لكننا اليوم أحرار من أي عبء، ولم تبق لدينا أي مهمة سوى مقاتلة عدونا والقضاء عليه"(1).

كان مساعدوا الأمير يعلمون بمدى حبه لأمه وزوجته وأبنائه وجميع أفراد عائلته الكبيرة التي لا يعرف مصيرهم، أقتلوا أم اسروا، أم هم مشردون في الجبال بلا أكل ولا غطاء؟ وكتب الأمير إلى خلفاءه يعلمهم بما حصل ويحثهم على مضاعفة جهودهم في القتال.

تم إعادة بناء الزمالة شيئا فشيئا، واستدعى "لامورسيير"، الذي كان يقود جيشه نحو تاقدمت، مصطفى بن اسماعيل من أجل تتبع ما تبقى من الدوار الكبير، مات هذا الخائن بعد عدة معارك دامية وكان موت عدو المقاومة الوطنية كتعويض عن نكبة أخذ الدوار، وقد تم تقديم رأسه للأمير كغنيمة، ولكنه باتزانه المعروف لم يظهر أي فرحة أو كره، وقال : "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إنا لله وإنا إليه راجعون"، وأعطى أمرا بدفن رأس عدو المقاومة الجزائرية وفق الشريعة الإسلامية.

---

(1) تحفة الزائر ج.1- ص. 281

كان الأمير يتجه نحو الغرب بزمالته التي أعاد تكوينها بقدر ما استطاع، وكان يترك مسافة بينها وبين جنوده لكي يحموها من الخلف، فهو يعلم أن الجنود الفرنسيين كانوا مصرين على القضاء عليها نهائيا لأنها تمثل رمز المقاومة، ولكنهم لا يدركون مدى إصرار عدوهم ومثابرته، الذي يشبه النملة التي تحمل حبة قمح أكبر منها إلى الأعلى، فقد استرجع قواه وخاض عدة معارك، وخسر الطرفان رجالاً. وصل الأمير أخير إلى الإقليم المغربي ووضع زْمالته في مأمن في الريف الشرقي، لم يصبح للأمير لا مدينة ولا دوار ونقص عدد جنوده بشكل محسوس، وكان منتشرا في الهضاب والوديان وفي الهضاب العليا وفي رمال الصحراء، لكن حماسته في التصدي للعدو لم تنقص بنقص العدد.

تلاشت هيئات الدولة شيئا فشيئا، لكن الأمير واصل حكمه والتحكيم في النزاعات وتسيير وتوزيع الأوامر، وكانت القبائل التابعة له تنصاع لذلك وتدفع ضرائبها وتضمن أمن المسالك والتجارة ومواصلة القتال ببسالة. لكن الخسائر العديدة والمتتابعة التي تكبدها الأمير جعلت عدة قبائل تنصاع للعدو، ومن أجل الحط من هيبة الأمير قام العدو بنشر دعاية عن وفاته، حتى فكرت بعض القبائل المناهضة للاستعمار الفرنسي في إعادة تنظيم المقاومة مثل قبائل الجرجرة بقيادة الخليفة أحمد بن سالم باسم الأمير، وظنوا أن الغرب قد توقف عن

المقاومة وأن أم الأمير عبد القادر كانت تكتب وتختم رسائل باسمه وتعطي أوامر وهمية، ولكن الأمير لما عاد من المغرب استأنف القتال بشراسة أكبر وبرهن لمساعديه أنه قيد الحياة وأن المعارك التي يخوضها هي أكثر شراسة من قبل.

كانت سنة 1843 صعبة جدا على الأمير، فقد أحس بفعالية العمل السيكولوجي للعدو الذي يهدف لتخريب هيبته وفصله عن القبائل التي بقيت موالية له، وبالرغم من عمل الجواسيس والخونة والمساعي الدبلوماسية للعدو وضغوطاته على المغرب وهزمه لجنود الشريف، أعاد الأمير تنظيم حياة متنقلة جديدة وحافظ على وتيرة المعارك بالشراسة المعتادة إلى نهاية 1847.

فضلنا التركيز على الانقلاب المفاجئ الناجم عن سقوط الزْمالة، وإن لم يكن عملا بطوليا بالنسبة للعدو، فإنه قد أعلن نهاية المقاومة الجزائرية واستقلال البلد.

فالجزائر لم تفقد استقلالها في 05 جويلية 1830 أثناء سقوط الجزائرالعاصمة ولا بتاريخ 23 ديسمبر 1847 لما استسلم الأمير، إنما فقدت استقلالها بتاريخ 15 ماي 1843 مع سقوط آخر عاصمة للجزائر المستقلة، فبسقوط الزْمالة في يد العدو والاستيلاء للمرة الثانية على

الخزينة العمومية الجزائرية وعلى الارشيفات الوطنية، فقد حطم من جديد هيئات الدولة ومقوماتها السياسية والاجتماعية، وهذه المرة لمدة 120 سنة، أي إلى غاية جويلية 1962.

بالإضافة إلى أن تاريخ 1843 هو نقطة انطلاق نهاية استقلال الدولتين الشقيقتين غرب البلاد وشرقها، وهما حدثان هامان متعلقان باحتلال الجزائر، إن المقاومة التي شهدتها الأربع سنوات التي تلت تاريخ 1843 المشؤوم شكلت معجزة في كتابات التاريخ لجزائري، فقد كانت بدون دعم وبدون مال وبدون عتاد وبدون أسلحة تقريبا، يحيط بها العدو من كل جانب وكان الأمير يستميت ويقوم بأعمال خارقة ويلحق بالعدو خسائر ثقيلة بشرية ومادية.

4- نهاية القتال واستسلام الأمير :

خسر الأمير ابتداء من سنة 1843 كل تنظيم سياسي وإداري ثابت، وبدأ في المقاتلة بتحريض القبائل هنا وهناك وبتجنيد الموالين له جزائريين ومغاربة، وكما في تازة بالمغرب، واستسلم إخوانه اللاجئين في فاس وضواحيها.

في الجزائر، خضعت عدة قبائل لفرنسا تحت وطاة الأسلحة والقمع، وطريقة العقوبات الجماعية وحرق المحاصيل وعمليات التدخين وكل

أنواع القمع، أصبحت بعض القبائل تحت خدمة العدو طمعا في الربح ولأنها تعتبر أن المقاومة غير مجدية، ورفضت قبائل أخرى الانصياع للعدو، من حيث المبدأ، مثل قبيلة التيجاني. اغتنمت القبائل التي خضعت لوطأة العدو الفرصة للتمرد ضد سلطة الأمير. ويجب القول أن عددا كبيرا من القبائل تمت تهيأتها سيكولوجيا من قبل مصالح الجنرال "بيجو" ولاسيما بمساعدة ممثلي زاوية التيجاني لعين ماضي، وزاوية مولاي الطيب بالوزان، وزاوية سيدي عقبة بالقيروان.

في سنة 1841، صدرت فتوى عن علماء هذه الزاوية الاخيرة، مدعمة بسور قرآنية، تدعو إلى وقف العدائية من اجل حقن دم المسلمين الذي اسفك بشكل كبير، كما تدعو الفتوى المسلمين إلى التعقل والعيش تحت لواء فرنسا.

"يقول روش، وهو الامين السابق للأمير ومطلق الفتوى ومرتد عن الإسلام، أن الحديث امتد في الليل وأن اعتراض ثلاثة أو اربعة علماء متطرفين كاد أن يؤدي بالنتائج السلمية التي كنا نجهد إليها، واخيرا قام رئيس المجلس الذي كان يميل إلى موقفي بغلق النقاش وأنهى خطابه بعرض الاسباب التي تدعو إلى رضوخ المسلمين مؤقتا إلى المستعمر، ما يسمى بالمهادنة، أو الهدنة وهو أمر جائز في القرآن، ثم عين الامين المكلف بتحرير الفتوى التي يجب تسليمها إلى المقدّم التيجاني."

"في اليوم الموالي تم قراءة تلك الوثيقة المهمة بحضور المقدّمين فقط وكانوا مجتمعين بالزاوية التيجانية."

"اود لو بامكاني ان أقدم ترجمة أمينة عن الوثيقة، ولكنني سأكتفي بتقديم سياقها والتدابير الرئيسية.

"تم عرض السؤال بشكل مطول ولكن واضح

"تلي سور القرآن المتعلقة بالجهاد والعلاقات مع الكفار ...

"ثم تنتهي تلك الوثيقة بالخاتمة التي يلي ملخصها :

"عندما يحارب شعب مسلم، الكفار الذين استعمروه، لمدة طويلة ويكون آملا في طردهم ولكن مواصلة الحرب تعود عليه بالبؤس والخراب والموت بدون أي فرصة في الفوز على الكفار، فيمكن لهذا الشعب العيش تحت هيمنتهم، مع الحفاظ على الأمل في النصر عليهم بعون الله، شريطة أن يمارس دينه بحرية وأن نساءه وبناته لا تستباح".

"كانت الفتوى تستجيب لآمالنا بشكل تام، ولكن المقدّمين اتفقوا على إعطاء صيغة أكثر رسمية وأكثر أصالة بوضع رأي علماء القيروان تحت استشارة عدة مجالس من المراكز الجامعية الكبرى في المشرق كالقاهرة وبغداد ودمشق".

"أخذ 'ليون روش' عصاه الخاصة بالحج ومحفظته المليئة بالذهب، وشق طريقه نحو القاهرة، حيث صادق جامع الأزهر على الفتوى، لكن ذلك لم يكن أمرا يسيرا، فقد راسل الجنرال "بيجو" من القاهرة بتاريخ 10 نوفمبر 1841 : "لقد قبضت حوّالة الأربعة ألاف فرنك وقد جاءت في وقتها المناسب لتضمن لي موافقة علماء القاهرة على موقف علماء القيروان، لقد انتهيت بإقناعهم بحجة قاطعة".

بمؤازرة الخوانة دائما ونقوده اللمّاعة وصل "ليون روش" إلى الطائف، على بعد حوالي 60 كيلومتر عن مكة المكرّمة، أين التقى مع الشريف محمد ابن عون، الذي جمع مجلس علماء كان من بينهم الشيخ السنوسي الذي أبدى معارضة شديدة وأقلق ممثلي التيجاني. بتاريخ 03 مارس 1842 حمل "ليون روش" الفتوى الرسمية. وبدأ العمل مذّاك عبر كامل التراب الوطني من أجل عزل الأمير، فتم تحضير ثمان رسل من الزوايا وامروا باخذ تعليماتهم من الجنرال "بيجو" شخصيا من اجل العمل على تخريب مقاومة الأمير، فجالوا الوطن وجعلوه في حالة هيجان من خلال هيمنة الزوايا على الجزائريين عبر الدين.

يقول "روش" : "لمدة ثلاث سنوات وهؤلاء الرسل يجوبون التراب الجزائري معرضين للتعب والاخطار، ولكن لم أر قط منهم الا ما يوحي

بعزمهم على مواصلة عملهم، ولما كنت أنقل تقارير ذلك إلى الجنرال "بيجو" كان متعجبا من جرأتهم وحدة بصيرتهم".

كانت الفتوى تشكل حجة دامغة ووثيقة قاعدية من اجل الدعاية المغرضة التي دامت أكثر من خمس سنوات، وسمحت لهم بتحريض قبائل الغرب والشرق، وخلق عدة عراقيل للأمير الذي واجه التمرد والفوضى ورفض القبائل دفع الجزية ما دحر مكانته اكثر فاكثر في الجزائر ومع نهاية مقاومته وجد نفسه وحيدا معزولا. وفي سنة 1847 بدأت معاناة الأمير وقلة من الرجال الذين بقوا اوفياء، وكان يقاتل عَدُوّان وهما : شعب عدائي قد يقبض عليه أو يقتله من أجل الحصول على مكافأة السلطان من جهة، وفرنسا من جهة ثانية[1].

كما أن الجنرال "لامورسيير" بعث خلفه أكثر من 50.000 رجل بالإضافة لرجال السلطان وقبائل بني زناسن والريف، الذين كانوا أصدقاءه في وقت مضى، وتمت محاصرة الحدود باحكام من مصّب واد كيس على ما بعد وجدة، وبقي طريق الجنوب المسلك الوحيد للأمير، ولكنه كان مغلقا. لقد خذله أصدقائه من بني زناسن ومن الريف، لا بل ثاروا ضده وحاولوا القبض عليه وتسليمه لأميرهم. لم يكن للأمير عبد

(1) تحفة الزائر ج.1 - ص.321

القادر أي أسلحة تقريبا، والستة وثلاثون قطعة التي كانت معه انتهت شيئا فشيئا، فذهب محمد البوحميدي [1] أحد أفضل وأوفى رجاله إلى فاس من أجل جلب السلطان لمؤازرة الأمير [2].

فقد الأمير مملكته ومدنه وحصونه وجنوده، ولكنه لم يفقد أبدا شجاعته وإيمانه، فقد اجتمعت كل الظروف ضده، وأحاطه الأعداء من كل جانب، ولم يبق أمامه سوى الاستسلام أو الموت سواء على أيدي شعبه أو على أيدي المغاربة، لم يكن أمامه خيار آخر. اجتمع مع ما تبقى له من الرجال من أجل التفكير في قرار يتخذه، لم يكن بإمكانه اللجوء إلى الصحراء التي كانت السبيل الوحيد أمامه لكن جنود الجنرال "لامورسيير" أغلقوها، وكان من المستحيل التوغل أكثر في المغرب الذي قاتل ضد جيشه، وحيث بعث السلطان بمناشير تكفيرية ضد الأمير إلى رعيته يدعوها إلى القبض عليه حيا أو ميتا. ذهب عبد القادر إلى القبيلة المغربية بني خالد (بني زناسن) مع عائلته وحاشيته، وبقي عند الشيخ مختار بوتشيش، أحد أعز أصدقائه، وظن أنه في مأمن، لكن مستضيفه كان قد فكر مليّا في تسليمه لسيده. كان ذلك في منتصف

(1) أصله من قبيلة أولحاسة، في شمال تلمسان، تلقى تعليما دينيا، وكان حاكما صارما وناشطا، لا تزال ذكراه باقية في تلمسان، أصبحت صرامة سلطانه ضربا للأمثال، فيقال : "حُكْمْ البوحميدي" للحديث عن التدابير الصارمة.

(2) يقال أنه تم تسميمه في فاس.

ديسمبر 1847، تهاطلت أمطار طوفانية جعلت من الجنرال "لامورسيير" يفقد أثره بالرغم من الوسائل الجبّار ة التي يحوزها. وكان بإمكان الأمير، بالنظر لسوء حالة الطقس والليالي الحالكات، الذهاب إلى الصحراء بالرغم من الحراسة المشدّدة حوله، لكنه كان يحس أن القتال أصبح شبه مستحيل.

قال الأمير فيما بعد :

"كان بامكاني شخصيا الهرب مجددا من هذه الحراسة المزدوجة، فكان لا يزال معي بعض من الخيّالة البسلاء والأوفياء، وكان بإمكاني إقلاق الفرنسيين ومستعمرتهم لمدة طويلة. لم تكن قبائل الصحراء لترفض أن تعطيني بعض الشعير والحليب، وكان بامكاني على الاقل الوصول على جوادي إلى طريق المدن المقدسّة، فقد جبتها في صغري مع والدي المبجّل".

هل تعلمون أن النسوة والاطفال والشيوخ والجرحى الذين كان يعتني بهم ويداويهم، هم من جعلوا الفارس المغوار يقرر وقف القتال؟ فلم يكن بامكانه تركهم لمصيرهم. لكن المؤرخين أغفلوا كثيرا هذه الشهامة وروح المسؤولية تجاه معاونيه وعائلاتهم. الشيء الاكيد هو أن القتال اصبح غير عادلٍ ونهايته كانت معلومة، ولكنه رغم ذلك كان بامكان الأمير أن يواصل لمدة أشهر أو حتى لسنوات ويلحق بالعدو

خسائر ونكبات، ولكنه رأى ان مهمته تنتهي عند هذا الحد، فإذا واصل أبعد من ذلك فسيصبح مغامرا وقاطع طرق من أجل تلبية حاجياته. كان العالم كله ينظر مشدوها لانجازات هذا الرجل المدهش والمتميز في قتاله، منتصرا كان أم مغلوبا.

يجب القول أن الوضع قد بلغ ذروته لكي يقرر الأمير، ذو الإيمان والثقة التي لا تتزعزع، وقف المقاومة. اجتمع بالموالين له وأعضاء عائلته وقال لهم : "يا أيها الناس، إنكم ترون وتسمعون ما يجري، ما المشورة وما الحيلة؟"

فأجابوه : الرأي رأي أميرنا، ونحن له مطيعون.

فرد عليهم : "أنا لا أرى سوى الاستسلام لمشيئة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، لقد بذلت كل ما بوسعي للدفاع عن الدين وعن البلد، وقمت منذ شبابي بكل ما باستطاعتي لاعطاء السلم للشعب الحاضر والغائب، وقاتلت أكثر من سبعة عشر سنة تعرضت أثناءها للموت، وملأً جنودي السبل والمعابر غير مكترثين بالعدو رغم عدده، ومررت امامه واعددت له الكمائن، وهزمته عدة مرات، لقد قمت بواجبي كمقاتل بقوة السيف والرمح، وأنفقت كل مالي. لكن إخواني انقلبوا علي كالأفاعي وحاولوا الإضرار بي. لقد بلغ السيل الزبى" ثم ذكر أبياتا شعرية تتماشى مع الموقف.

Lettre en date du 14 moharram 1264 h (22 décembre 1847) adressée par
l'Emir à Lamoricière lui faisant connaître son désir d'être transporté à Alexandrie
ou à Saint-Jean - d'Acre (Akka).

رسالة بتاريخ 14 محرم 1264 للهجرة (22 ديسمبر1747) من الامير إلى لاموريسيير
يبلغه فيهاعن رغبته في ان ينقل الى الاسكندرية او الى عكا.



الهجوم على الزمالة

PRISE DE LA ZMALA

سكت الحضور برهة، ثم عبر كل واحد عن رأيه، واتفقوا على الاستسلام للفرنسيين، بعد هذا القرار المتفق عليه جماعيا بكل حرية وبدون خوف، بعث الأمير برسول يحمل رسالة شفوية إلى "لامورسيير"، كان الجنرال الفرنسي في قمة الفرح، وأرسل على الفور

بسيفه إلى الأمير تعبيرا عن السلم، وبورقة بيضاء تحمل ختمه وعلى الأمير ملأها بالشروط التي يراها. كان أحد القومية، اسمه بوخويا، يرافق رسول الأمير، وكتب هذا الأخير شروطه المتواضعة على الورقة البيضاء المختومة وأرسلها إلى الجنرال على الفور. راسل "لامورسيير" بسرعة ابن الملك بتقريره عن عرض الأمير وشروطه التي سلمها له شخصيا، وهي :

1- تسهيل ذهاب الأمير إلى "سانت جان داكر"[1] أو إلى الاسكندرية.

2- ترافق الأمير أعضاء عائلته وأصدقائه.

3- ترك الذين يبقون في الجزائر أحرارا ويحافظون على أملاكهم.

قال "لامورسيير" في رسالته : "إنهما الإقامتان اللتان اختارهما الأمير شخصيا، وقد وافقت عليهما وتعهدت بتنفيذ شروطه، وأنا كلي ثقة بأن جلالة الملك وحكومته سيوافقون على ذلك، وعبد القادر معوّل على كلمتي وإمضائي". عندما تسلم "دوق أومال" حاكم الجزائر، الرسالة، انتقل من الجزائر العاصمة إلى الغزوات بحرا وكتب للجنرال "لامورسيير" : "أنا موافق على الشروط التي وضعها الأمير والتي وافقتَ عليها"، وأكد على تجديد وعده الرسمي لكي يطمئن الأمير.

(1) حاليا مدينة عكا، وتقع في فلسطين المحتلة.



الامير عبد القادر حسب صورة رسمت له في برج لامالق
L'EMIR ABD-EL-KADER, D'APRES UN DESSIN FAIT AU FORT LAMALGUE

دامت المفاوضات ثلاث أيام وثلاثة ليالٍ، وبالرغم من مصائب الأمير وتقلب القدر ضده، لكنه لم يفقد أبدا برودة أعصابه، كانت عائلته سترافقه إلى المشرق، أما الذين اختاروا البقاء في الجزائر فقد تم الاتفاق على أن يعاملوا بما يليق ويحتفظون بأملاكهم.

ذهبت المجموعة الصغيرة التي يقودها الأمير إلى الغزوات، أين كان دوق أومال ينتظره مع الجنرال "لامورسيير" والجنرال "كافينياك"، ولما اقتربوا من سيدي ابراهيم نزل القوم عن الأحصنة وأقاموا الصلاة بالمسجد، ثم اتى الكولونيل "مونتوبان" لملاقاته على رأس 500 خيّال، واستقبل "دوق أومال" الأمير وحاشيته في الغزوات

بتاريخ 23 ديسمبر 1847، وأكد أنه يقبل بالمعاهدة التي أمضاها "لاموريسيير". في اليوم الموالي، اجتمع الأمير مجددا مع ولي العهد الذي أهدى لعبد القادر مسدسه وساعته، وعبر له عن صداقته وجدد له وعده. تم بعد ذلك وضع قائمة لمرافقي الأمير، وهم أعضاء عائلته وخليفتيه مصطفى بن تهامي و قدور بن علال، كان المجموع مائتي شخص. استقل الأمير وأتباعه الباخرة بتاريخ 01 جانفي 1848، وكانت مفاجئتهم كبيرة عندما اتجهت الطرادة الفرنسية نحو فرنسا عوضا عن المشرق.

انتهى الصراع الذي كان قائما بين مبدأين لا بين قوتين، حسب مؤلف "تحفة الزائر"، الأول من أجل تحرير البلدان الشرقية والآخر للسماح لأوربا الاستعمارية من الحصول على أقاليم، ولكن هذا الأخير تفوق بفضل القوى العليا. هذه الفكرة تتوافق مع ما كتبه عبد القادر لـ"بيجو" قبل سنوات مضت : "هل هناك جريمة ارتكبتموها أكبر من جريمة احتلالكم لبلادنا؟"[1].

(1) عندما كلف "بيجو" ليون روش بدعوة الأمير للاستسلام بذكر المبادئ الإسلامية، أجابه هذا الأخير : "ليس لنصراني أن يعلم مسلما معاني القرآن. أما فيما يخص الإنسانية فلتقل للفرنسيين أن يأخذوا أولا بالنصائح التي يسدوها إلي. قل لي من يخرق القوانين الإنسانية، أولئك الذين احتلت جيوشهم بلاد العرب الذين لم يؤذوهم أبدا، ويحلون بهم الخراب والموت، أو ذلك الذي يقاتل ضد الاحتلال الظالم وتحرير بلده من نير المستعمر الكافر؟" (L. Roches - trente deux ans à travers l'Islam، T2، p.380-381 و P. Azan، L'émir Abdelkader، p.200)

ختم "إيدموند بوتي" في تاريخه الشامل قصته حول مقاومة الأمير بالعبارات التالية : "و هكذا اختفى من الواجهة أحد الرجال البارزين في القرن التاسع عشر، وأحد الأوجه العظيمة في الإسلام...يصعب علينا تقديره بطريقة ترضينا، فطالما كنا نراه بعيدا عنا ومطوق بجو أسطوري زاد من شاعريته وعظمته"(2)

5- احتجاز الأمير

كانت خيبة أمل الأمير كبيرة عندما تم حجزه في "تولون" ثم في "بو" ثم في"أمبواز".

بالرغم من أن "لامورسيير" تعهد بكلمة سيده وبكلمة فرنسا، غير أنه بعد انتفاضة فيفري 1848 عُيّن كوزير، وهو ما زاد من تفاقم الوضع، لأنه عندما نقض عهده وافق، خوفا من المسؤولية، على حجز الشخص الذي كان قد سلم له منذ بضعة أشهر مضت، ورقة بيضاء مختومة، نقض العهد هذا لن ينساه التاريخ أبدا.

أخيرا حصل الأمير على رخصة بالذهاب إلى "بروس"، وكان لـ"نابليون الثالث" الشجاعة إذ اتخذ بتاريخ 16 أكتوبر 1852 قرارا لم يتخذه أي فرنسي من قبله، نظرا للتخوف الكبير من انتفاض الأمير

(2) الجزء 2 ص. 35

مجددا، أثناء زيارة مفاجئة قام بها "نابليون" بتاريخ 16 أكتوبر لقصر "أمبواز" قال للأمير : "لا شيء في نظري يخزي حكومة بلد كبير كالتنكر لفوتها إلى حد نقض وعدها، لقد كنتَ عدو فرنسا، ولكني أحترم شجاعتك وشخصك وثباتك في المصائب، ولهذا يشرفني أن أنهي فترة حجزك وأنا كلي ثقة بوعدك[1]"

قام الامبراطور بنقل الأمير وحاشيته إلى تركيا، واستقر الأمير في "بروس"، لكن في سنة 1855 ضربت هزة أرضية حطمت منزله، واضطر للاستقرار في دمشق أين عاش محاطا بهالة وبهبة عظيمة سواء لدى الجالية المسلمة أو المسيحية، وكانت هذه الأخيرة قد عبرت له عن امتنانها لأنه ساعدها في سنة 1860 أثناء المجازر التي اقترفتها أياد مجرمة، إذ أنقذ أرواح آلاف الأشخاص.

---

(1) بصفته الأمير "نابليون"، قام الإمبراطور المستقبلي بتحمل مسؤولية تحرير الأمير. وكانت هناك مراسلة بين الرئيس والخليفة العثماني لتحضير مكوث الأمير في تركيا، وفي تلك الفترة قام "نابليون" بانقلابه وشرع في الاستفتاء العام من أجل أن يصبح إمبراطورا، ومنح حق التصويت للأمير الذي صوت لصالحه، فقال له "نابليون" بعد فوزه : "تصويتك أيها الأمير بركة منحتني السعادة"، فأجابه الأمير : "إنه صوت صديق وفي لجلالة الملك". نعلم أن الاستفتاء كان بتاريخ 22 نوفمبر 1852، وكان ذلك عشرين سنة تماما بعد مبايعة الأمير.



الامبراطور نابليون يعلن عن حرية الأمير

L'EMPEREUR NAPOLEON 1er ANNONCE A L'EMIR SA LIBERATION

خاتمة

إلى غاية وقت قريب، لم يكن الجزائريين وأكثر منهم الأجانب، يقدّرون الأمير ومقاومته حق قدرهما. لكن الجزائر تداركت موقفها الخطير وطالبت من الجمهورية العربية السورية بتاريخ 05 جويلية 1966 استرجاع جثمان الأمير الذي دفن منذ 1883 في أرض كان يحبها بالدرجة الثانية بعد بلده، تمت إعادة مواراة جثمان هذا الرجل العظيم على أرض الوطن في مقبرة العالية بالجزائر العاصمة، وسط بطلين من الثورة الجزائرية، ربما أقل منه مرتبة، لكنهم كلهم أبطال جزائريون ساعدونا في استرجاع وطننا المفقود.

أعاد عبد القادر للجزائر شخصيتها.

عمل المستعمر على محو أي أثر للإدارة الجزائرية، حتى أن بعض العقول الجاهلة أو ذات غايات مضرة أكدت عدم وجود دولة جزائرية في السابق، لكن الأمير عبد القادر أثبت بمقاومته وحسه التنظيمي وتعقل هيئاته أن الجزائر كانت موجودة كدولة، وقاومت المحتل كما

قاومته دائما منذ القدم. وإن انحنت تحت ثقل شراسة العدو وأسلحته لكنها لم تتخل أبدا عن حقها في العيش كدولة حرة.

إن الأمير عبد القادر هو للجزائر مثال عن المقاومة والوطنية وبعد النظر السياسي وإنسانية مبادئه التي تأقلمت في الوقت نفسه مع مبادئ الإسلام ومع الثقافة الأوروبية. ويعترف خصومه وغالبيه أنه رجل عظيم واستراتيجي بارع، وقد واجهوه مجددا في سوريا أين أحبط ألاعيبهم، ولكنهم أعجبوا به رغما عنهم، وإن أغفلوا أن يعطوه المكانة التي يستحقها في كتبهم التاريخية، إلا أن بعض المؤرخين لم يتوانوا عن الاعتراف أن فرنسا واجهت لمدة 15 سنة عدوا من العيار الثقيل على مستوى التاريخ، لأن التاريخ اليوم يعتبره من عظماء رجاله. كما صنفه المارشال "سولت"، منذ 1843، ضمن أكبر ثلاث رجال يستحقون صفة أعظم الرجال وثلاثتهم ينتمون للإسلام وهم الأمير عبد القادر ومحمد علي باشا والإمام الشامل الداغستاني.

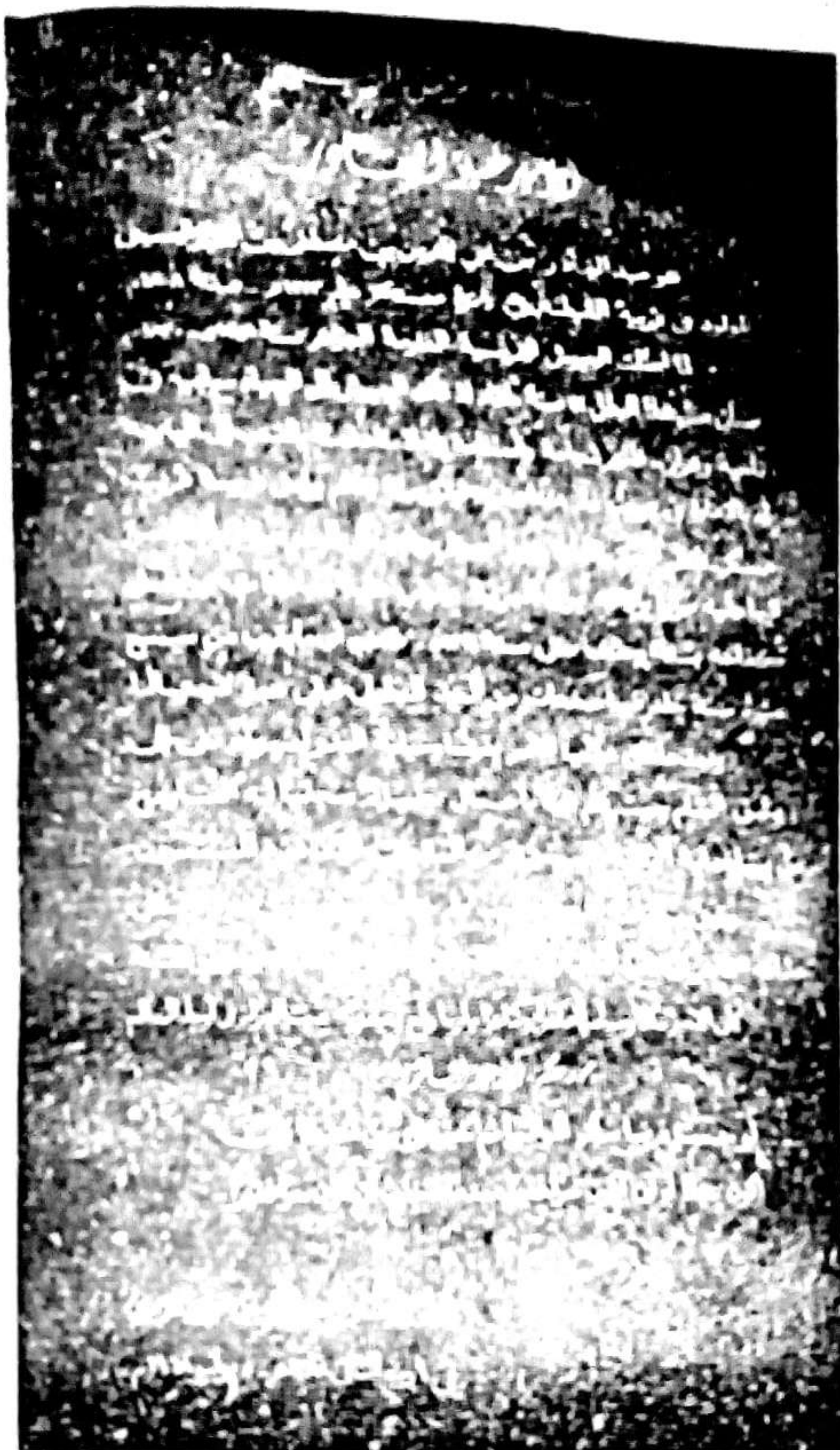
على الشعب الجزائري أن يفتخر بهذا وأن يعمل على استحقاق انتماء الأمير عبد القادر للجزائر لأنه اليوم مدفون في أرضه. يقول مؤلف التاريخ الشامل "إنه لحق وفخر للجزائريين أن لديهم مثل هذا الرجل والزعيم لقيادتهم وتمثيل سلالتهم أمام العالم [1]".

---

(1) أ. بوتي مجسدات الدول والشعوب في التاريخ العالمي ط. مكتبي. باريس، الجزء السابع، ص 35.

قامت الحكومة الجزائرية التي استرجعت رفات الأمير في سنة 1966، بتشييد تمثال فروسي لهذا البطل في الساحة التي تحمل اسمه، والتي كانت تحمل لأكثر من قرن اسم "بيجو" عدوه الشرس، وهكذا ظفرت العدالة مجددا واسترجع الرجل الجزائري العظيم مكانته وأخذ مكان الشخص الذي جاء لاغتصاب أرضنا.

يلي النص المنقوش على الحجر الذي يشكل قاعدة تمثال الأمير عبد القادر المشيد في 05 جويلية 1968، والذي كان لي عظيم الشرف في كتابته:



صورة النص باللغة العربية

الأمير عبد القادر

"الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مختار الحسني، ولد بالقطنة (دائرة معسكر) سنة 1223 هجري الموافق لسنة 1808.

أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، كان يبلغ من العمر 22 سنة، وكان آنذاك يقود مع أبيه الجنود في منطقة وهران للصمود في وجه المستعمر. كان يتحلى بالشجاعة ونكران الذات والتفاني، ما جعل الشعب يبايعه أميرا بتاريخ 03 رجب 1248 الموافق لـ 27 نوفمبر 1832 بواد فروحة بالقرب من معسكر.

نظم السلطة، وأقام الإدارة، وجهز الجنود وقاد ثورة بدون رحمة ضد المستعمر، فاز أثناءها بعدة معارك أذاق خلالها العدو مرارة الانهزام، واصل قتاله بحمية وحرارة إلى غاية 1847، بعد قتال قارب 17 سنة خط خلالها صفحات من المجد تبقى خالدة للأجيال القادمة، وبعد أن عانى الأسر وذاق خداع العدو الذي نقض وعده، تم نفيه إلى دمشق (سوريا) أين قام بأعمال بارزة تبقى مسجلة في التاريخ، من بينها نذكر حماية الأقليات المسيحية ضد هجوم دبّره المستعمرون.

توفي الأمير، رحمة الله عليه، في رجب 1300 الموافق لشهر ماي 1883،

وتم نقل رفاته إلى مقبرة العالية في الجزائر العاصمة بتاريخ 16 ربيع الأول 1386 الموافق لـ 05 جويلية 1966.

كان علامة شهيرا وسياسيا محنكا وشاعرا فصيحا، رفعت خصاله مكانة الجزائر في العالم."



تمثال الأمير عبد القادر

STATUE EQUESTRE DE L'EMIR

قائمة المراجع

1. عباس فرحات – بيان الشعب الجزائري "Le manifeste Algérien" إصدار التحرير.
2. ابن عبد الحكم (الابن). فتح افريقيا الشمالي واسبانيا.ترجمة قالتو.كاربونيل .الجزائر 1942.
3. اجورنون - Agéron ش .روبير – تاريخ الجزائر المعاصر. Histoire de l'Algérie contemporaine الصحافة الجامعية لفرنسا 1966.
4. ارشيف مغربي – 1907
5. ابن عسكر . دوحة النشر - ارشيف مغربي T19 – 1913.
6. اوبري – المغرب - Le Maroc - باريس .
7. ازان (بول) – الأمير عبد القادر .
8. بوردان كزافيير .Histoire nationale de l'Algérie –تاريخ الجزائر الوطني.باريس 1925.
9. البكري– وصف افريقيا الشمالية – ترجمة م.ك دي سلان – أ.جوردان الجزائر وقوتيي باريس 1913 .
10. بن شنب محمد – طبقات علماء إفريقية . معهد الآداب . كاربونيل الجزائر 1920.
11. بناني بن أحمد ابن حمدون .الوثائق الفرعونية .تعليق هواري – فاس 1348للهجرة.
12. بيرنار – الجزائر –
13. بيرنار – Les anciens impots de l'afrique du nord .الجزائر 1926.
14. الانجيل – فولقات- الوصايا القديمة والجديدة.
15. النصوص الاجتماعية والاقتصادية في مقدمة ابن خلدون.
16. بويير ب. L'evolution de l'Algérie contemporaine باريس- 1960.
17. بروسلار - mémoire épigraphique sur les tembeaux des émirs beni zyane –
18. المطبعة الوطنية - باريس 1876.
19. برونيل ريني –الرهبنة المتجولة في الاسلام - Le monachisme errant dans l'islam معهد الدراسات المغربية العليا – لاروز باريس- 1955 .
20. كات .إ – تاريخ الجزائر.
21. كومب.
22. Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les derrières années de la regence .

23. (مساهمة في دراسة توظيف جنود الجزائر (الاودجاك) في آخر أعوام الايالة.).
24. القرآن – نص - تعليق وترجمة .
25. دوماس - مراسلة ... صادرة عن ج. ايفر.
26. دوماس - القبائل الكبرى .- هاشيت – 1847.
- مجموعة من الوثائق غير المنشورة المتعلقة بتاريخ الجزائر – 1912.
27. ديلفان – تاريخ باشاوات الجزائر – الجريدة الاسيوية 1922 ص 170.
28. ديلبيتش .أ تاريخ الحاج عبد القادر عن ابن عمه الحسين بن علي بن ابي طالب .ج ج 1876 ص 417
29. ديفولوكس - edifice religieux de l'ancien alger- الجزائر 1870.
30. جيلالي عبد الرحمن – تاريخ الجزائر العام – الجزائر 1965
31. دوتي ف و إ.ف قوتيي.- enquete sur la dispertion de la langue berbere -Algerieجوردان 1913 .
32. إيموريت- . L'Algerie a l'epoque de l'emir Abdelkader-Agger 1951
33. ايسكيي.ج – -correspondance du duc de ravigo- 1831-1833-
34. فيرود - Ephérémide d'un secretaire officiel sous la domination Turque a Alger .
35. إ.ج 1874.ت .ص259.
36. ب. فورنيي . l'etat de l'Emir Abdelkader et sa puissance en 1841- revue d'histoire moderne et contemporaine ص من 123 الى 157.
37. جبهة التحرير الجزائري – الدولة الجزائرية قبل 1830.اصدار المقاومة الجزائرية .تطوان.
38. كرامون . histoire d'Alger sous la domination Turque- باريس 1887.
39. هايدو . Histoire des roi d'Algerإ.ج .ت .26.-1880 ص 52 230 و 359.
40. حمدان خوجة – ... Aperçu historique sur la regence d'Alger باريس 1833.
41. ابن هشام .السيرة النبوية – القاهرة .
42. عبد الرحمان ابن خلدون – المقدمة – نص باللغة العربية . القاهرة.
43. عبد الرحمان ابن خلدون - تاريخ البربر.
44. عبد الرحمان ابن خلدون – ترجمة دي سلان - الجزائر 1852.
45. ابن خلدون - ابو زكريا يحيى – تاريخ بني عبد الواد – ترجمة بيل فونتانا.
46. حمد العراقي - قانون الاحوال الشخصية المغربي .
47. جوليان .ش .أ . Histoire de l'Afrique du nord
48. جوليان ش.أ - histoire de l'Algerie contemporaine - باريس 1964.

49. كعك عثمان – مختصر التاريخ العام للجزائر .تونس 1344 للهجرة
50. لامونير (مارك). Histoire de l' algerie illustrée . fhvds.
51. لوبيل رولوند - Le Maroc – La Rose باريس 1939.
52. ليون لافريكان – . Description de l'Afrique ترجمة .ايبولار - باريس 1956.
53. ليس .- - Alger - باريس .
54. إ. ليسبيناس - notice sur les hachems de mascara - أ ج 1877 ص من 141 الى 151.
55. لوفي بروفونسال - Extrait des historiens arabes du Maroc - لاروز – باريس 1923.
56. مارسي و. وج .- les monuments arabes de Tlemcen- 1903.
57. مارسي ج. L'Art de l'islam . لاروس - باريس .
58. ابن مريم شريف المليتي – البستان – ترجمة بروفونزالي - فونتانا الجزائر 1910.
59. الماوردي - تاريخ افريقيا الشمالية - اصدار .لوروكس – باريس 1888.
60. ميشبيل .ا - prise d' Alger raconté par un captif- ا ج 1876 .ص .30-112 - 220.
61. محمد سعيدابن الأمير عبد القادر .تحفة الزائر .
62. احمد ابن خالد الناصري .كتاب الاستقصاء .دار الكتاب .- الدار البيضاء 1956.
63. كحمد نهليل . lettre cherifienne des anciens sultan du Maroc- قيلموتو - باريس .
64. بوليسيي دي رونو –- Annales Algeriennes - الجزائر 1854.
65. بيسل أو. – les fondements du droit musulman - المطابع المجتمعة – الدار البيضاء.
66. بوتي ايدمون - Histoires illustrées des pays et des peuples -كيلي – باريس .
67. القائد ج – بيتشون - Abdelkader - اصدار ديسبوني .تلمسان .
68. Residence generale du Maroc –Renaissance du Maroc.dix ans de protectorat.
69. المجلة الافريقية.
70. مجلة العالم الاسلامي.
71. رين. - Le royaume d'Alger sous le dernier Dey - ا ج . من 1879 الى 1899.
72. روبين - Note sur l'organisation militaire et administrative des Turcs en grande kabylie - ا.ج 1873 ت .18.
73. روبين - Notes sur Yahia agha اج -1874 .

74. روش ليون - trente deux ans a travers l'islam .
75. روار دوكار- traité de la France avec les pays de l'Afrique du nord – باريس 1906
76. ساندير راند ودونيس – . Fondation de la regence d' Alger – الجزائر 1837.
77. سيرج. La politique Turque en Afrique du nord sous la monarchie – قوتنير – باريس .
78. شالير - Esquise de l'etat d'alger - ترجمة بيانشي -باريس 1830.
79. صبحي محمصاني – فلسفة القانون الاسلامي – بيروت 1952.
80. سوردون .ج – Institution et coutumes berberes du Magreb - بيروت 1952.
81. ابو يعقوب يوسف ابن يحيى الشادليي – التصوف- ترجمة .فور – الرباط 1958 .
82. تراس هونري - Histoire du Maroc - اصدار اتلانتيد الدار البيضاء 1949.
83. تروملي - L'Algerie legendaire - الجزائر 1892.
84. فونتور دو بارادي - Alger au18eme siècle - باريس 1898.
85. البارون دو فانشون - الجزائر - باريس 1839 .
86. ايفير ج .(V plus haut daumas)
87. عبد الرحمن ابن زيدان العز أو سولا في معالم الدولة.المطبعة الملكية- الرباط.

فهرس

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر-
2013
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11